كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية
- - - - - -

رَفْضُ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ
دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّة

إعداد

د/ عبد الفتاح عبد العزيز رسلان

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بإيتاي البارود

(العدد الأربعون)
(الإصدار الأول ـ الجزء الرابع)
(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

رَفْضُ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّة

د/عبد الفتاح عبد العزيز رسلان

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، البحيرة، مصر

البريد الإلكتروني: abdulfttahraslan@gmail.com

ملخص البحث

قِصَّةُ رَفْضِ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ لوفاة أبيه –عندما جِئْنَ مِنْ بَنِي سَعْد إلى مكة يَلْتَمِسْنَ الرُّضَعَاء– من القصص المشهورة جداً في السيرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكي السلام. وقد وَرَدَت في كثير من كتب السيرة والتاريخ والحديث، وصارت مِنْ فَرْطِ شُهْرَتِهَا كأنها حقيقةٌ وأصلٌ في الموضوع.

وقد قمتُ بإعداد هذا البحث عنها؛ لبيان حقيقتها، والوقوف على مدي صحتها، وجعلت عنوانه " رَفْضُ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّة ".

وقد تحدثت فيه عن القصة كما وردت في كتب التراث، ثم قمت بنقد الروايات التي وردت بها سندا ومتنا، وخَلُصتُ إلى أن الرواية التي وردت عن رَفْضِ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ لوفاة أبيه، روايةٌ ضعيفةٌ سَنَداً ومَتْناً، ولا أساس لها من الصحة؛ وذلك للأسباب التي ذكرتها في ثنايا البحث. ومع ذلك؛ فإن هذا لا ينفي أنَّ رضاعه ﷺ في بَنِي سَعْد مِنْ حليمةَ السعديةِ ثابتٌ مِنْ طُرُقٍ أخرى صحيحة.

الكلمات المفتاحية

آمنة – حليمة السعدية – الحارث بن عبد العُزَّى – بني سعد – نسوة – عبد المطلب – عبد الله بن عبد المطلب – الرُّضَعَاء.

Refusal of breast-feeding women to breastfeed the Messenger, may God bless him and grant him peace, a critical study

Abdul Fattah Abdul Aziz Raslan
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Itay El-Baroud, Beheira, Egypt.
Email: abdulfttahraslan@gmail.com

Abstract:

The story of the breastfeeding woman's refusal to breastfeed the Messenger, may God bless him and grant him peace, on the death of his father - when they came from Banu Saad to Mecca to grope for breastfed babies - is one of the very famous stories in the Prophet's biography. on its owner the best prayer and the best of peace. It has been mentioned in many books of biography, history and hadith, and it has become so well-known that it is a fact and an original on the subject.

I have prepared this research for her; To clarify its truth, and to determine the extent of its validity, and made its title "The refusal of nursing mothers to breastfeed the Messenger, may God bless him and grant him peace, a critical study".

I spoke in it about the story as it was mentioned in the heritage books, then I criticized the narrations that contained a chain of narrators, and I concluded that the narration that was received about the breastfeeding mothers refusing to breastfeed the Messenger, may God bless him and grant him peace, due to the death of his father, is a weak narration with no authenticity, and no basis. This is for the reasons mentioned in the research. However; This does not negate that the breastfeeding of the Prophet, may God bless him and grant him peace, in Bani Saad from Halima al-Sa'diyah is proven by other valid methods. God bless

Key words

Amina - Halima Al-Saadiya - Al-Harith bin Abdul-Uzza – Bani Saad - Women - Abdul Muttalib - Abdullah bin Abdul.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد

فإن بعضَ أحداث السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكي السلام، قد امتدت إليها يَدُ العابثين بالدَّسّ والتحريف والتشويه؛ فأقحموا فيها أمورا ليست منها في شيئ؛ مِثْلَ قِصَّةِ رَفْضِ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ النبيّ ﷺ -وذلك عندما جِئْنَ مِنْ بَنِي سَعْد إلى مَكَّةَ يَلْتَمِسْنَ الرُّضَعَاء، فَتَرَكْنَهُ ورفَضْنَ أَخْذَه لإرضاعه؛ بسبب وفاة أبيه، وقُلْنَ: وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ! فأَخَذَتْهُ حَلِيمَـةُ السعدية؛ لأنها لم تجد غيره- وهي من القصص المشهورة جداً في السيرة النبوية، وقد وَرَدَت في كثير من كتب السيرة والتاريخ والحديث، وصارت مِنْ فَرْطِ شُهْرَتِهَا كأنها حقيقةٌ وأصلٌ في الموضوع.

وتُعَدّ كتب السيرة والمغازي أقدم مَنْ ذَكَرَها، ونقلها عنها مَنْ جاء بَعْدُ مِنْ كُتَّاب التاريخ والحديث، وقد رأيت أن أقوم بإعداد هذا البحث عنها؛ لبيان حقيقتها، والوقوف على مدي صحتها، وجعلت عنوانه "رَفْضُ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّة".

وقد تحدثت فيه عن القصة كما وردت في كتب التراث (السيرة، والتاريخ، والحديث)، فوجدتها وردت في أربع روايات، بصُوَرَتَيْن مختلفتين؛ وبَيْنَها كثيرٌ من الاختلافات في التفاصيل والأحداث، فذكرتُها؛ مُوَضِّحاً مضمونَ كُلِّ رواية منها، ومَنْ ذَكَرَها من المؤرخين والمحدثين.

ثم قُمْتُ بعد ذلك بنقد هذه الروايات الأربع؛ متبعا في ذلك منهج المحدثين والمؤرخين في النقد، ومعتمداً على الاختلافات الكثيرة بينها في التفاصيل والأحداث، وضعفها سندا ومتنا، وغير ذلك.

ثم تحدثت في الخاتمة عن أهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث المتواضع، الذي أسأل الله عَزَّ وَجَلَ أن أكون قد وُفِّقْتُ فيه.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر عديدة من أمهات الكتب في السيرة والتاريخ والحديث والتراجم، وقد ذكرتها جميعاً في ثبت المصادر والمراجع بآخر البحث. وقد أفادتني هذه المصادر كلها في استقاء المادة العلمية الخاصة بالموضوع، ومعرفة أحوال الرواة الذين رَوَوْا هذه القصة؛ ومِنْ ثَمَّ الحكم عليها بالصحة أو الضعف.

وأحب أن أذكر هنا أنني اقتصرت في الحواشي على ذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب، ورقم الجزء، ورقم الصفحة؛ من باب الاختصار والتخفيف، فلم أذكر رقم الطبعة، وتاريخها؛ اكتفاء بذكرها في قائمة المصادر والمراجع بآخر البحث، ولعدم وجود فائدة من ذكرها في الحواشي أسفل الصفحات، ومنعا لتكرار معلومات في الحواشي موضعها الأصلي قائمة المصادر والمراجع بآخر البحث.

وأخيراً، فإني أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأن يكون عملي فيه خالصا لوجه الله الكريم ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

د/عبد الفتاح عبد العزيز رسلان

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بإيتاي البارود

رَفْضُ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرسول ﷺ

القصة كما وردت في كتب التراث :

قِصَّةُ رَفْضِ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرسولِ ﷺ -عندما جِئْنَ مِنْ بَنِي سَعْد إلى مكة يَلْتَمِسْنَ الرَّضَعَاء، فَتَرَكْنَهُ ورفَضْنَ أَخْذَه لإرضاعه؛ بسبب وفاة أبيه، وقُلْنَ: وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ! فأَخَذَتْهُ حليمة السعدية[1]؛ لأنها لم تجد غيره- من القصص المشهورة جداً في السيرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكي السلام. وقد وَرَدَت في كثير من كتب السيرة والتاريخ والحديث، وصارت مِنْ فَرْطِ شُهْرَتِهَا كأنها حقيقةٌ وأصلٌ في الموضوع. وتُعَدّ كتب السيرة والمغازي أقدم مَنْ ذَكَرَها، ونقلها عنها مَنْ

(١) **حَلِيمَةَ السعدية**: هي حَلِيمَةَ بِنْتَ أبي ذؤيب عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِجْنَةَ، من بني سَعْدِ ابْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وهي زوجة أبي ذُؤَيْبٍ، الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِفَاعَةَ، وهي أم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بن عبد العُزّى؛ الذي كَانَتْ تُرْضِعُهُ مع الرسول ﷺ ، وَأم أُنَيْسَةَ، وَجُدَامَةَ -بِنْتَي الْحَارِثِ- وَجُدَامَةَ هذه هِيَ الشَّيْمَاءُ، الَّتِي كَانَتْ تَحْضُنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أُمِّهَا وَتُوَرِّكُهُ. وسيأتي نسب حليمة وزوجها كاملا في رواية الواقدي. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١١٠.

جاء بَعْدُ مِنْ كُتَّاب التاريخ والحديث؛ فقد ذكرها ابن إسحاق[1]

(١) **ابن إسحاق**: هو مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ بن يَسَارٍ، المدني، القرشي المطلبي. كان عالما بالسير والمغازي وأيام الناس، وأخبار المبتدأ، وقصص الأنبياء. وكان أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ مَغَازِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَلَّفَهَا.

تعددت آراء العلماء واختلفت أقوالهم فيه؛ فمنهم مَنْ وَثَّقَهُ وَعَدَّلَهُ، ومنهم مَنْ كَذَّبَهُ وَجَرَّحَهُ، ومنهم مَنْ وقف حياله موقفا وسطا، فقد وَثَّقَهُ وَعَدَّلَهُ: العِجْلِيُّ، وأبو زُرْعَة، ويحيي بن معين، وعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيّ، وقال عنه ابن شهاب الزهري: لا يزال بالمدينة علم ما بقي ابن إسحاق. وقال الشافعيّ: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال عَلَى ابن إسحاق.

وقد ضَعَّفَه وَكَذَّبَه وجَرَّحَه طائفة كبيرة من العلماء؛ فقد قال عنه يحيي بن معين: ضعيف. وقال: ليس بالقوي. وكذا قال النسائي. وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث. وقال الدار قطني: لا يحتج به. ووصفه بأنه كذاب كل من: الأعمش، وسليمان التيمي، ويَحْيى بْنُ سَعِيد القطان، ووهيب بن خالد. وهشام بن عروة، والإمام مالك ووصفه بأنه دجال من الدجاجلة، وقال: نحن نفيناه عن المدينة. وقال ابن حبان: لم يكن يَقْدَحُ فيه مَالكٌ من أجل الحَدِيث؛ إِنَّمَا كَانَ يُنْكِرُ عَلَيْه تتبعه غزوات النَّبِيّ ﷺ عَنْ أَوْلَاد الْيَهُود الَّذين أَسْلمُوا، وحفظوا قصَّة خَيْبَر وقُرَيْظَة وَالنَّضِير، وَمَا أشبهَهَا من الْمَغَازَات؛ عَن أسلافهم، وَكَانَ مَالك لَا يرى الرِّوَايَة إِلَّا عَنْ متقن صَدُوق فَاضل؛ يحسن مَا يروي، ويدري مَا يحدث. وَقَال أحمد بْن حَنْبَل: هو كثير التدليس. وقال: والله إني رأيته يحدث عَنْ جماعة بالحديث الواحد، ولا يفصل كلام ذا منْ ذا. وكان ابن نمير يقول: إنما أتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة. وقال السعدي: كَانَ مُحَمد بن إسحاق مَرْمِيًّا بغير نوع من البدع. وقال الفريابي فقال: زنديق. وقال أبو داود: قدري معتزلي. وقال الشاذكوني: كان محمد ابن إسحاق بن يسار يَتَشَيَّع. وقال الخطيب البغدادي: قد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأسباب؛ منها أنه كان يَتَشَيَّعُ، ويُنْسَبُ إلى القَدَر، ويُدَلِّسُ في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه.

وقد وقف فيه بعض العلماء موقفا وسطا؛ فقد قَالَ أَبُو حَاتِم: لم يكن أحد بِالْمَدِينَةِ يُقَارب ابْن إِسْحَاق فِي علمه، وَلَا يوازيه فِي جَمْعِهِ، وَكَانَ مِنْ أحسن النَّاس سِيَاقًا للْأَخْبَار، وَأَحْسَنهمْ حفظا لمتونها، وَإِنَّمَا أُتِي مَا أُتِي؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُدَلِّسُ على الضُّعَفَاء، فَوَقع الْمَنَاكِيرُ فِي رِوَايَته مِنْ قِبَلِ==

والواقـــديّ[1]، ونقلهـــا عنهمـــا كُـــلُّ مَـــنْ جـــاء بعدهمـــا مِـــنَ

== أُولَئِكَ. وقال الذهبي: "كان أحد أوعية العلم، حَبْرًا في معرفة المغازي والسِّيَرِ، وليس بذاك المُتْقِن، فانْحَطَّ حديثُه عن رُتْبَةِ الصِّحَّةِ. وقال أيضا: هو صالح الحديث، ماله عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة، والأشعار المكذوبة. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٧ وما بعدها. والمزي، تهذيب الكمال، ج٢٤، ص٤٠٥ وما بعدها. والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص١٩٣ وما بعدها. وسير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٧٢ وما بعدها. وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٨ وما بعدها.

(١) **الواقدي**: هو مُحَمَّد بن عُمَر بن واقد الواقدي الأَسلميّ، مولاهم، أَبُو عَبد اللَّهِ الْمَدَنِيّ، قاضي بغداد، الإمام العلامة، صاحب التصانيف والمغازي، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه. وُلِدَ في أول سنة ثلاثين ومئة، في آخر خلافة مروان بن مُحَمَّد، ومَاتَ فِي ذي الحجة سنة سبع ومئتين.

تعددت آراء العلماء واختلفت أقوالهم فيه؛ فمنهم مَنْ وَثَّقَهُ وَعَدَّلَهُ، ومنهم مَنْ كَذَّبَهُ وَجَرَّحَهُ، فقد وصفه يزيد بن هارون، وأَبَو عُبَيد الْقَاسِم بْن سلام، بأنه ثقة. ووصفه مصعب الزبيري، والمُسَيَّبي، وأبو يحيى الأزهري، بأنه ثقة مأمون. ووصفه الدَّراوَرْدِيّ بأنه أمير المؤمنين في الحديث. وأثنى عليه وعَلَى عِلْمِهِ جماعةٌ؛ فقال مصعب الزبيري: والله ما رأينا مثله قط. وقال محمد بن سلام الجمحي: الواقدي عَالِمُ دَهْرِهِ. وَقَال مُحَمَّد بْن سَعْد: كان عالما بالمغازي والسيرة والفتوح، وباختلاف الناس في الحديث والأحكام، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه، وقد فسر ذلك في كتب استخرجها ووضعها وحَدَّثَ بِهَا. وقال إبراهيم الحربي: كان الواقديُّ أعلمَ الناسِ بأمرِ الإسلام، فأما الجاهلية فلم يعلم منها شيئا. وَقَال الخطيب البغدادي: هو مِمَّنْ طَبَّقَ شَرْقَ الأرضِ وغَرْبَهَا ذِكْرُهُ، ولَمْ يَخْفَ عَلَى أَحَدٍ عَرَفَ أَخْبَارَ الناسِ أَمْرُهُ، وسَارَتْ الرُّكْبَانُ بِكُتُبِهِ في فُنونِ العِلْمِ؛ مِنَ المغازي والسير والطبقات، وأخبارِ النَّبِيّ ﷺ والأحداثِ التي كانت في وَقْتِهِ، وبَعْدَ وفاتِهِ ﷺ ، وكُتُبِ الفِقْهِ، واختلافِ الناسِ في الحَدِيثِ، وغَيْرِ ذلك.

وقد ضَعَّفَه وَكَذَّبَه وجَرَّحَه طائفة كبيرة من العلماء؛ فقد قال البخاري: تَرَكُوهُ. وقال: مَا عِنْدِي للواقدي حَرْفٌ، ومَا عَرَفْتُ مِنْ حَدِيثِهِ فَلاَ أَقْنَعُ بِهِ. وقال: سكتوا عَنْهُ؛ تركه أَحْمَد وابْن نمير. وقال: مَتْرُوك الحَدِيث. وكذلك قال مسلم والنسائي وأبو حاتم، وأبو زرعة. وَقَال الحاكم: ذاهب الحديث==

المُؤَرِّخِـــــينَ وَالمُحَــدِّثِين.

== وقال أبو داود: لا أكتب حديثه؛ ما أشك أنه كان ينقل الحديث. وقال الشافعي: كُتُبُ الواقديّ كَذِبٌ. وكَانَ أَحْمد بن حَنْبَل يُكَذِّبُهُ، ويقول: الواقدي كذاب. ويقول: كان الواقدي يقلب الأحاديث؛ يُلْقِي حديث ابن أخي الزُّهْرِيّ عَلَى مَعْمَر، ونحو هذا. وكان يَحْيَى بن معِين يَقُول: الْوَاقِدِيّ ضعيف. ويقول: لَيْسَ بِشَيْء. ويقول: ليس بثقة. ويقول: نظرنا في حديث الواقدي؛ فوجدنا حَدِيثَهُ عَنِ المَدَنِيّينَ عَنْ شُيُوخٍ مَجْهُولِين، أَحَادِيثُ مَنَاكير، فقلنا: يُحْتَمَلُ أن تكون تلك الأحاديث المناكير منه، ويُحْتَمَلُ أن تكون منهم، ثم نظرنا إلى حديثه عن ابن أبى ذِئْب ومَعْمَر؛ فإنه يضبط حديثهم، فوجدناه قد حَدَّثَ عنهما بالمناكير، فَعَلِمْنَا أنه منه، فتركنا حديثه. وذكره ابن شاهين في الضعفاء والمتروكين، وقال: لا يكتب حديثه. وقال أبو زرعة: الواقدي ضعيف. وقال الدار قطني: مختلف فيه، فيه ضَعْفٌ بَيِّنٌ في حديثه. وقال ابن حبان البستي: كَانَ مِمَّن يحفظ أَيَّام النَّاس وسِيَرَهُمْ، وَكَانَ يَرْوِي عَن الثِّقَات المقلوبات، وَعَن الْأَثْبَات المعضلات، حَتَّى رُبمَا سبق إِلَى الْقلب أَنَّهُ كَانَ الْمُتَعَمّدَ لذَلِك. وكان عَليّ بن الْمَدِينِيّ يُضَعِّفُهُ ويَقُول: الْوَاقِدِيُّ يَضَعُ الحَدِيث. ويقول: رَوَى الواقدي ثلاثين ألف حديث غريب. وقال: عند الواقدي عشرون ألف حديث لم أسمع بها. ثم قال: لا يُرْوَى عنه. وقال يحيى بن معين: أَغْرَبَ الواقديُّ عَلَى رسولِ الله ﷺ عشرين ألف حديث. وقال النسائي: المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن سعيد بالشام.

وقد ذكر له ابن عَدِيّ بعضَ الأحاديث التي رواها، وقَالَ: وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي أَمْلَيْتُهَا لِلْوَاقِدِيّ وَالَّتِي لَمْ أَذْكُرْهَا، كُلَّهَا غَيْرَ مَحْفُوظَةٍ، ومَنْ يَرْوِي عَنْهُ الْوَاقِدِيُّ مِنَ الثِّقَاتِ فَتِلْكَ الأحاديث غير محفوظة عنهم إلا من رِوَايَةِ الْوَاقِدِيّ، وَالْبَلاءُ مِنْهُ، وَمُتُونُ أَخْبَارِ الْوَاقِدِيّ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ، وَهو بَيِّنُ الضَّعْفِ. وقال الذهبي: جَمَعَ فَأَوْعَى، وخَلَطَ الغَثَّ بالسَّمِينِ، والخَرَزَ بِالدُّرِّ الثَّمِينِ؛ فاطرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم. وقال أيضا: قد استقر الإجماع على وَهَنِ الواقدي. انظر: ابن عَدِيّ، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٧، ص٤٨٠- ٤٨٤. والمزي، تهذيب الكمال، ج٢٦، ص١٨٠ وما بعدها. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١٥٨ وما بعدها. وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٦٣ وما بعدها.

وقد ذكرها -نقلا عن ابن إسحاق- ابنُ هشام[١]، وأبو يعلي الموصلي[٢]، والطبري[٣] ، وابن حبان[٤]، والطبراني[٥]، وأبو نُعَيْم الأصبهاني[٦]، والبيهقي[٧]، وابن عساكر[٨]، والسُّهَيْلِيّ[٩]، وابن الجوزي[١٠]، وابن الأثير[١١]، والكُلاعي[١٢]، وسِبْط ابن الجوزي[١٣]، وابن سَيِّد الناس[١٤]، والذهبي[١٥]، وابن كثير[١٦]،

(١) السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٦٢-١٦٥.

(٢) مسند أبي يعلى، ج١٣، ص٩٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص١٥٧-١٦٠.

(٤) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج١، ص٥٣-٥٥. وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ج١٤، ص٢٤٣-٢٤٩.

(٥) المعجم الكبير، ج٢٤، ص٢١٢.

(٦) دلائل النبوة ، ج١، ص١٥٥-١٥٧.

(٧) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج١، ص١٣١-١٣٤.

(٨) تاريخ دمشق، ج٣، ص٨٦-٩٤.

(٩) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ج٢ ، ص١٤٤-١٤٧.

(١٠) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٢، ص٢٦١-٢٦٣.

(١١) الكامل في التاريخ، ج١ ، ص٤١٨.

(١٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، ج ١ ، ص١١٠-١١١.

(١٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، ج٣ ، ص٤٧-٤٨.

(١٤) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ج١ ، ص٤١-٤٢.

(١٥) تاريخ الإسلام، ج١، ص٤٩٦-٤٩٩.

(١٦) البداية والنهاية، ج٢ ، ص٢٧٣-٢٧٧.

وبرهان الدين الحَلَبِي[١]، والهَيْثَمِي[٢]، والبوصِيرِي[٣]، وابن ناصر الدين الدمشقي[٤]، والمقريزي[٥]، وابن حجر العسقلاني[٦]، والسيوطي[٧]، والقَسْطَلَّاني[٨]، والحِمْيَرِي الشهير بـ "بَحْرَق"[٩]، والدِّيارُ بَكْرِيّ[١٠]، وعبد الملك العصامي[١١]، والزرقاني[١٢]، والألباني[١٣].

(١) المقتفى من سيرة المصطفى، ج١، ص٣٦-٣٧.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٨، ص٤٠٣-٤٠٦. والمقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، ج٣، ص١٣٣-١٣٦. وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج٦، ص٤٣٧-٤٤١.

(٣) إتحاف الخيرة المَهَرَة بزوائد المسانيد العَشَرَة، ج٧، ص١١-١٢.

(٤) جامع الآثار في السير ومولد المختار، ج٣، ص٢٥٦-٢٦٥.

(٥) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ج٤ ، ص٨٤-٨٨.

(٦) المطَالبُ العَالِيَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثَّمَانِيَةِ، ج١٧، ص١٧٧-١٨٣.

(٧) الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) ، ج ١ ، ص٩١-٩٥.

(٨) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١، ص٩٠-٩٢.

(٩) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ج١، ص١٠٧-١٠٩.

(١٠) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج١، ص٢٢٢-٢٢٤.

(١١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج١، ص٣٠٧-٣٠٨.

(١٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١، ص٢٦٤-٢٧٢.

(١٣) ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج١، ص١٥٠-١٥٣.

وذكرها نقلا عن الواقدي: ابنُ سعد(١)، وأبو نُعَيْم الأصبهاني(٢)، وابن عساكر(٣)، وابن ناصر الدين الدمشـقي(٤)، والمقريزي(٥).

وقد ذكرها معظمهم بالتفصيل، وذكرها البعض باختصار، وقد وردت هذه القصة في الكتب السابقة بصورتين مختلفتين، وذلك على النحو التالي:

الصورة الأولى تتضمن أن المُرْضِعَاتِ جِئْنَ إلى مَكَّةَ يَلْتَمِسْنَ الرُّضَعَاءَ، فكان محمدٌ ﷺ من نصيب حليمة السعدية، وقد وردت فيها روايتان، بينهما اختلاف كبير؛ إحداهما لابن إسحاق، والثانية للواقدي.

والصورة الثانية تتضمن أن عبدَ المطلب بن هاشم -جَدّ الرسول ﷺ- هو الذي التمس له الرضعاء، وقد وردت فيها روايتان أيضا؛ إحداهما لابن إسحاق، وقد رواها الطبري، والثانية للأموي، وقد رواها ابن كثير.

وسأعرض فيما يلي هذه الروايات الأربع، كما وردت في المصادر التي اعتمدتُ عليها، ثم أتناولها بالنقد والتحليل، وذلك على النحو التالي:

(١) الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٨٩-٩١.

(٢) دلائل النبوة ، ج١، ص١٥٧.

(٣) تاريخ دمشق، ج٣، ص٨٦-٨٨.

(٤) جامع الآثار في السير ومولد المختار، ج٣، ص٢٥٦-٢٦٥.

(٥) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ج٤ ، ص٨٧-٨٨.

الصورة الأولي:

أ- رواية ابن إسحاق:

وهي الأكثر شُهرة وذِكْراً عند المؤرخين، وقد ذكرها ابن هشام، قائلا: "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي جَهْمُ بْنُ أَبِي جَهْمٍ[1] مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ الْجُمَحِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ[2] بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَوْ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي

---

(١) **جَهْم بن أبي جَهْم**: لم أعثر له علي ترجمة، وكل ما وجدته عنه معلومات قليلة مكررة؛ فقد قال عنه البخاري: "جَهْم بْن أَبِي الجَهْم، مولى الحارث بْن حاطب القرشي، روى عَنْ عَبْد الله ابْن جَعْفَر، وروى عَنْهُ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق". انظر: التاريخ الكبير، ج٢، ص٢٢٩. وقال ابن أبي حاتم: " جَهْم بْن أَبِي الجَهْم، ويقال له ابن الجَهْم، مولى الحارث ابن حاطب القرشي، الجمحي. روى عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والمِسْوَر بن مخرمة. روى عنه محمد بن إسحاق، وعبد الله العمري. سمعت أبي يقول ذلك". انظر: الجرح والتعديل، ج٢، ص٥٢١. وقال الخطيب البغدادي: "جَهْم بن أبي جَهْم الْمدنِي ... وَهُوَ جَهْم بن عُثْمَان الَّذِي روى عَنهُ ابْن أبي فديك أَيْضا ...". انظر: موضح أوهام الجمع والتفريق، ج١، ص٥٤٢. وقال ابن منده الأصبهاني: "جَهْمٌ السُّلَمِيُّ، وقِيلَ: الأَسْلَمِيُّ، وَالِدُ جَهْمِ بنِ أَبي جَهْمٍ ... كانَ عَلَى غَنَائِمِ خَيْبَر". انظر: المستَخرجُ من كُتب النَّاس للتَّذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة، ج٢، ص٩٩. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال، ج١، ص٤٢٦، فقال: " جَهْم بْن أَبِي الجَهْم، عن أبي جعفر بن أبي طالب. وعنه محمد ابن إسحاق، لا يعرف. له قصة حليمة السعدية". وقد البيهقي أنه " مَوْلًى لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، كَانَتْ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ، فَكَانَ يُقَالُ: مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ". انظر: دلائل النبوة، ج١، ص١٣٣. والمهم أنه كما قال الذهبي: لا يُعْرَف، أي مجهول الحال.

(٢) **عبدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ** بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، أَبُو جَعْفَرٍ، الْهَاشِمِيُّ، المَدَنِيُّ، الْجَوَّادُ ابْنُ الْجَوَّادِ، لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وأمه أَسْمَاءَ بنت عُمَيْسٍ الخثعمية. وُلِدَ بِالْحَبَشَةِ، وهُوَ أول مولود ولد بِهَا فِي الإِسْلام؛ ذلك أن جعفر بْن أَبِي طَالِب هاجر إِلَى أرض الحبشة، وحمل مَعَهُ امرأته أسماء بنت عميس، فولدت لَهُ هنالك عَبد اللَّهِ، وعونا، ومحمدا، فلما انصرف ومن معه==

ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ. أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ، تُحَدِّثُ: أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ، فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، تَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ، قَالَتْ: وَذَلِكَ فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ(١)، لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا. قَالَتْ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي

== من المسلمين من عِنْدَ النجاشي، قدموا علي النبي ﷺ وهو بخيبر (سنة ٧هـ) فقال ﷺ: ما أدري بأيهما أنا أُسَرُّ: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر. وقدم جعفر بِهِم الْمَدِينَة، فلم يزالوا بِهَا حَتَّى وجه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَعْفَرًا إِلَى مؤتة، فقُتل بِهَا شهيدا، وكان عَبْدُ اللَّهِ بْن جَعْفَرٍ وقتها صغيرا؛ يدل على ذلك قوله: أنا أحفظ حِينَ دَخَلَ رَسُول اللَّهِ ﷺ عَلَى أُمِّي فَنَعَى لَهَا أَبِي، فأنظر إِلَيْهِ وهُوَ يَمْسَحُ عَلَى رأسي، وعيناه تهريقان الدموع، حَتَّى تقطر لحيته، ثُمَّ قال: يا أسماء، ألا أبشرك؟ قَالَتْ: بلى، بأبي أَنْتَ وأمي. قال: فَإِن الله عزوجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة. قالت: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فأعلم النَّاس بِذَلِكَ. فقام رَسُول اللَّهِ ﷺ فأخذ بيدي، حَتَّى رَقَى المِنْبَرَ، فأجلسني أمامه عَلَى الدرجة السفلى، والحزن يُعْرَفُ عَلَيْهِ، فتكلم، فَقَالَ: إن المرء كَثِيرٌ بأخيه وابن عمه، ألا إن جَعْفَرًا قَدِ اسْتُشْهِدَ، وجعل الله لَهُ جناحين يطير بهما فِي الْجَنَّة. ويدل على صغره أيضا قوله: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أتاهم بعدما أَخْبَرَهُمْ بِقَتْلِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، بَعْدَ ثالثة، فَقَالَ: "لا تَبْكُوا أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ". ثُمَّ قَالَ: "ائْتُونِي بِبَنِي أَخِي". فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّنَا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: "ادْعُوا لِيَ الْحَلاقَ". فَأَمَرَهُ، فَحَلَقَ رؤوسنا. وهذا يعني أن عبد الله بن جعفر كان صغيرا حين استشهد أبوه بمؤتة. وكان عمره يوم توفي النبي ﷺ عشر سنوات. وكَانَ سَخِيًّا، جوادا حليما، وكَانَ يسمى بحر الجود، وَيُقَالُ: لَمْ يَكُنْ فِي الإِسْلامِ أَسْخَى مِنْهُ. وقد مَاتَ سنة ثمانين –وهُوَ عام الجحاف، سيل كَانَ ببطن مَكَّة حجف الحاج، وذهب بالإبل، وعليها الحمولة– وقيل: توفي سنة تسعين. وكَانَ يَوْم توفي ابْن ثمانين، وقيل: ابْن تسعين سنة. وصحح المزي أنه مَاتَ سنة ثمانين، وهُوَ ابْن ثمانين. انظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١٤، ص٣٦٧-٣٧٢. والذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج٢، ص٨٢٥. وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٥، ص١٧٠-١٧١.

(١) "**سَنَةٌ شَهْبَاءُ**، أَي ذاتِ قَحْطٍ وجَدْبٍ. والشَّهْباءُ: الأَرضُ البيضاءُ الَّتِي لَا خُضْرة فِيهَا لقِلَّة المَطَر، مِنَ الشُّهْبَة، وَهِيَ البياضُ، فسُمِّيَت سَنَةُ الجَدْب بِهَا". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٠٩. باب الباء، فصل الشين المعجمة.

قَمْرَاءَ(١)، مَعَنَا شَارِفٌ(٢) لَنَا، وَاللهِ مَا تَبِضُّ(٣) بِقَطْرَةٍ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيِّنَا الَّذِي مَعَنَا؛ مِنْ بُكَائِهِ مِنْ الْجَوْعِ، مَا فِي ثَدْيَيَّ مَا يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذِّيهِ. وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ، فَلَقَدْ أَذَمَّتْ(٤) بِالزَّكْبِ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجَفًا(٥)، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ، فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا

---

(١) "**أتان قَمْرَاءُ**، أَي بَيْضَاءُ". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١١٣. باب الراء، فصل القاف.

(٢) "**الشَّارِفُ مِنَ الإِبِل**: المُسِنُّ والمُسِنَّةُ، وَالْجَمْعُ شَوَارِفُ وشُرَّفٌ وشُرُفٌ وشُرُوفٌ ... والشارِفُ: الناقةُ الَّتِي قَدْ أَسَنَّتْ ... ناقةٌ عَجْفاء شَارِفٌ؛ هِيَ المُسِنّةُ ... قَالَ أَبو بَكْرٍ: الشُّرْفُ جَمْعُ شارِفٍ، وَهِيَ النَّاقَةُ الهَرِمةُ". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١٧٣. باب الفاء، فصل الشين المعجمة.

(٣) "**تَبِضُّ**، أَي تَسِيلُ وتَقْطُر ... والضَّبُّ دُونَ السَّيَلانِ". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٤٢. باب الضاد، فصل الباء. والمقصود أنها ما يقطر منها لبن.

(٤) "**أَذَمَّتْ** رِكَابُ الْقَوْمِ إِذْماماً: أَعيت وَتَخَلَّفَتْ وتأَخرت عَنْ جَمَاعَةِ الإِبل وَلَمْ تَلْحَقْ بِهَا، فَهِيَ مُذِمَّةٌ، وأَذَمَّ بِهِ بَعِيرهُ؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: أَنشد أَبو الْعَلَاءِ: قَوْمٌ أَذَمَّتْ بِهِمْ رَكائِبُهُمْ، ... فاسْتَبْدَلوا مُخْلِقَ النِّعالِ بِهَا، وَفِي حَدِيثِ حَلِيمة السَّعْدِيَّةِ: فخرجْتُ عَلَى أَتاني تِلْكَ فَلَقَدْ أَذَمَّتْ بالرَّكْبِ، أَي حَبَسَتْهُمْ لِضَعْفِهَا وَانْقِطَاعِ سَيْرِهَا ... وإِنَّ رَاحِلَتَهُ أَذَمَّتْ، أَي انْقَطَعَ سَيْرُهَا؛ كأَنها حَمَلَت النَّاسَ عَلَى ذَمِّها". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٢٠-٢٢١. باب الميم، فصل الذال المعجمة.

(٥) "**عَجَفَ** نَفسَه عَنِ الطَّعَامِ يَعْجِفُها عَجْفاً وعُجُوفاً وعَجَّفَها: حبَسها عَنْهُ وَهُوَ لَهُ مُشْتَهٍ؛ ليؤثِرَ بِهِ غيرَه ... والتَّعْجِيف: سُوء الْغِذَاءِ والهزالُ. والعَجَفُ: ذَهَابُ السِّمَنِ والهُزالُ ... وأَعْجَفَه أَي هَزَله. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ) هِيَ الهَزْلَى الَّتِي لَا لَحْمَ عَلَيْهَا وَلَا شَحْمَ؛ ضُرِبت مَثَلًا لِسَبْعِ سِنين لَا قَطْر فِيهَا وَلَا خِصْبَ. وَفِي حَدِيثِ أُم مَعْبَد: يَسُوق أَعْنُزاً عِجَافاً؛ جَمْعُ عَجْفَاء، وَهِيَ المَهْزولةُ مِنَ الْغَنَمِ وَغَيْرِهَا. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٣٣-٢٣٤. باب الفاء، فصل العين المهملة. والمقصود أنها تأخرت عن الركب بسبب ضعفها وهزالها، وأَخَّرَتْهُم معها.

وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ! فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي، فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الِانْطِلَاقَ، قُلْتُ لِصَاحِبِي: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا، وَاللَّهِ لَأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنَّهُ، قَالَ: لَا عَلَيْكِ أَنْ تَفْعَلِي، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً. قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا أَخَذْتُهُ، رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ، ثُمَّ نَامَا، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ، فَإِذَا إِنَّهَا لَحَافِلٌ[1]، فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ، وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا وَشِبَعًا، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ. قَالَتْ: يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعَلَّمِي وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ، لَقَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً. قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا، وَرَكِبْتُ أَنَا أَتَانِي، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا معي، فو الله لَقَطَعَتْ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِمْ، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي ليَقُلْنَ لي: يَا ابنة أَبِي ذُؤَيْبٍ، وَيْحَكِ! ارْبَعِي عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَكِ الَّتِي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟ فَأَقُولُ لَهُنَّ: بَلَى وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ. فَيَقُلْنَ: وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا. قَالَتْ: ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبَّنًا، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ

(١) "**ضَرْعٌ حَافِلٌ** أَي مُمْتَلِئٌ لَبَنًا ... وَنَاقَةٌ حَافِلَة وحَفُول، وَشَاةٌ حَافِل، وَقَدْ حَفَلَتْ حُفُولًا وحَفْلًا إِذا احْتَفَلَ لَبَنُها فِي ضَرْعها، وهُنَّ حُفَّل وحَوَافِل ... وَفِي حَدِيثِ حَلِيمَةَ: فإِذا هِيَ حَافِل، أَي كَثِيرَةُ اللَّبَنِ. وَفِي حَدِيثِ مُوسَى وَشُعَيْبٍ: فَاسْتَنْكَرَ أَبوهما سُرْعَةَ مَجِيئِهِمَا بِغَنَمِهِمَا حُفَّلًا بِطاناً، جَمْعُ حَافِل أَي مُمْتَلِئَةَ الضُّرُوعِ". انظر: لسان العرب، ج١١، ص١٥٧. باب اللام، فصل الحاء المهملة.

قَطْرَةَ لَبَنٍ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ: وَيْلَكُمْ! اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ. فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبَّنًا. فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنْ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ؛ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْتُهُ، وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشِبُّهُ الْغِلْمَانُ؛ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا[1]. قَالَتْ: فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا؛ لِمَا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ، فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْتُ لَهَا: لَوْ تَرَكْتِ بُنَيَّ عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَأَ مَكَّةَ. قَالَتْ: فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا. قَالَتْ: فرجعنا بِهِ، فوالله إِنَّهُ بَعْدَ مَقْدِمِنَا بِهِ بِأَشْهُرٍ مَعَ أَخِيهِ لَفِي بَهْمٍ لَنَا خَلْفَ بُيُوتِنَا، إِذْ أَتَانَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلِأَبِيهِ: ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيُّ؛ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَاهُ، فَشَقَّا بَطْنَهُ، فَهُمَا يَسُوطَانِهِ. قَالَتْ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَحوه، فَوَجَدْنَاه قَائِمًا مُنْتَقِعًا[2] وَجْهُهُ. قَالَتْ: فَالْتَزَمْتُهُ وَالْتَزَمَهُ أَبُوهُ، فَقُلْنَا لَهُ: مَالك يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: جَاءَنِي رَجُلَانِ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّا بَطْنِي، فَالْتَمَسَا فِيهِ شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ. قَالَتْ: فَرَجَعْنَا بِهِ إِلَى خِبَائِنَا. قَالَتْ: وَقَالَ لِي أَبُوهُ: يَا حَلِيمَةُ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامُ قَدْ أُصِيبَ، فَأَلْحِقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ. قَالَتْ: فَاحْتَمَلْنَاهُ، فَقَدِمْنَا

---

(١) "**الجَفْرُ** الجَمَلُ الصَّغِيرُ والجَدِيُ بعد ما يُفْطَمُ ابْنُ سِتَّةِ أَشهر. قَالَ: وَالْغُلَامُ جَفْرٌ ... وَفِي حَدِيثِ حَلِيمَةَ ظِئْرِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ يَشِبُّ فِي الْيَوْمِ شَبَابَ الصَّبِيِّ فِي الشَّهْرِ فَبَلَغَ سِتًّا وَهُوَ جَفْرٌ. قَالَ ابْنُ الأَثير: اسْتَجْفَر الصَّبيُّ إِذا قَوِيَ عَلَى الأَكل. وَفِي حَدِيثِ أَبي اليَسَر: فَخَرَجَ إِليَّ ابنٌ لَهُ جَفْرٌ ... والجَفْرُ: الصَّبِيُّ إِذا انْتَفَخَ لَحْمُهُ وأَكل وَصَارَتْ لَهُ كِرْشٌ، والأُنثى جَفْرَةٌ، وَقَدِ استَجْفَر وتَجَفَّرَ". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص١٤٢-١٤٣. باب الراء، فصل الجيم.

(٢) "**انْتُقِعَ لَوْنُهُ**: تَغَيَّرَ مِنْ هَمٍّ أَو فزَعٍ، وَهُوَ مُنْتَقِعٌ، وَالْمِيمُ أَعرف، وَزَعَمَ يَعْقُوبُ أَن مِيمَ امْتُقِعَ بَدَلٌ مِنْ نُونِهَا. وَفِي حَدِيثِ الْمَبْعَثِ: أَنه أَتَى النَّبِيَّ، ﷺ ملكانِ فأَضْجَعاه وشَقَّا بَطنَه فرجعَ وَقَدِ انْتُقِعَ لونُه؛ قَالَ النَّضِرُ: يُقَالُ ذَلِكَ إِذا ذَهَبَ دَمُه وَتَغَيَّرَتْ جِلْدَةُ وَجْهِهِ إِما مِنْ خوْفٍ وإِما مِنْ مَرَضٍ". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٦٣. باب العين، فصل النون.

بِهِ على أمّه. فَقَالَت: مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَا ظِئْرُ، وَقَدْ كُنْتِ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَعَلَى مُكْثِهِ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِابْنِي، وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ، وَتَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ، فَأَدَّيْتُهُ إِلَيْكَ كَمَا تُحِبِّينَ. قَالَتْ: مَا هَذَا شَأْنُكَ، فَاصْدُقِينِي خَبَرَكَ. قَالَتْ: فَلَمْ تَدَعْنِي حَتَّى أَخْبَرْتُهَا. قَالَتْ: أَفَتَخَوَّفْتَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ نَعَمْ. قَالَتْ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ، وَإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأْنًا، أَفَلَا أُخْبِرُكِ خَبَرَهُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ، أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فو الله مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَيَّ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ، رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دَعِيهِ عَنْكِ وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً"(١).

وذكرها أيضا أبو يعلي الموصلي(٢)، وذكرها الطبري بسنده إلى ابن إسحاق من عدة طرق جمعها في إسناد واحد؛ قائلا "حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق. وحدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا يونُس بن بُكَيْر، قال: حدثنا ابن إسحاق. وحدثني هارون بن إدريس الأصم، قال: حدثنا المحاربي، عن ابن إسحاق. وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني عمي محمد بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق. عن الجَهْم بن أبي الجَهْم مولى عبد الله بن جعفر، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: ..."(٣).

(١) السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٦٢-١٦٥.

(٢) مسند أبي يعلى، ج١٣، ص٩٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص١٥٨-١٦٠. ويلاحظ أن الطبري ذكر أن الجَهْم بن أبي الجَهْم مولى عبد الله بن جعفر، وهذا خطأ؛ والصواب ما ذكرته في ترجمته قبل ذلك، وأنه مولى الحارث بْن حاطب القرشي.

وذكرها الطبراني بسنده إلى ابن إسحاق من عدة طرق جمعها في إسناد واحد أيضا؛ قائلا: "حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا ابْنُ الْأَصْبَهَانِيُّ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ. ح وَحَدَّثَنَا أَبُو مُسْلِمٍ الْكَشِّيُّ، ثنا أَبُو عُمَرَ الضَّرِيرُ، ثنا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ. ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ، ثنا مَسْرُوقُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ الْكِنْدِيُّ، ثنا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ. كُلُّهُمْ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ جَهْمِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ، مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ ..." (١).

وذكرها كذلك ابنُ حِبّان(٢)، وأبو نُعَيْم الأصبهاني(٣)، والبيهقي(٤)، وابن عساكر(٥)، والسُّهَيْلِيّ(٦)، وابن الجوزي(٧)، وابن الأثير(٨)، والكُلاعي(٩)، وسِبْط ابن الجوزي(١٠)، وابن سَيِّد الناس(١١)،

(١) المعجم الكبير، ج٢٤، ص٢١٢.

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ج١٤، ص٢٤٣-٢٤٩. والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج١، ص٥٣-٥٥.

(٣) دلائل النبوة ، ج١، ص١٥٥-١٥٦.

(٤) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج١، ص١٣٢-١٣٤.

(٥) تاريخ دمشق، ج٣، ص٨٨-٩٤.

(٦) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ج٢ ، ص١٤٥-١٤٧.

(٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٢، ص٢٦١-٢٦٣.

(٨) الكامل في التاريخ، ج١ ، ص٤١٨. وقد ذكرها ابن الأثير نقلا عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مباشرة.

(٩) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، ج ١ ، ص١١٠-١١١.

(١٠) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، ج٣ ، ص٤٧-٤٨.

(١١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ج١ ، ص٤١-٤٢.

والذهبي[١]، وابن كثير[٢]،والهَيْثَمِي[٣]، والبوصِيرِي[٤]، وابن ناصر الدين الدمشقي[٥]، والمقريزي[٦]، وابن حجر العسقلاني[٧]، والسيوطي[٨].

وذكرها القَسْطَلَّاني[٩] باختصار؛ وانفرد بأشياء[١٠] لم يذكرها أحد قبله، وفي النفس منها شيئ.

---

(١) تاريخ الإسلام، ج١، ص٤٩٦-٤٩٩.

(٢) البداية والنهاية، ج٢ ، ص٢٧٣-٢٧٦. وعقب عليها بقوله: "وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رُوِيَ مِنْ طُرُقٍ أُخَرَ، وَهُوَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ الْمُتَدَاوَلَةِ بَيْنَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْمَغَازِي". ص٢٧٦.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٨، ص٤٠٣-٤٠٦. والمقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، ج٣، ص١٣٣-١٣٦. وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج٦، ص٤٣٧-٤٤١.

(٤) إتحاف الخيرة المَهَرَة بزوائد المسانيد العَشَرَة، ج٧، ص١١-١٢.

(٥) جامع الآثار في السير ومولد المختار، ج٣، ص٢٥٦-٢٦٣.

(٦) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ج٤ ، ص٨٤-٨٦.

(٧) المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ، ج١٧، ص١٧٧-١٨٣.

(٨) الخصائص الكبرى، ج ١ ، ص٩١-٩٢. وقد ذكرها عن عبد الله بن جَعْفَر بن أبي طَالب مباشرة.

(٩) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١، ص٩٠-٩٢.

(١٠) منها قوله: "وقد ذكروا أنه لما وُلِدَ ﷺ قيل: مَنْ يكفل هذه الدرة اليتيمة، التي لا يوجد لمثلها قيمة؟ قالت الطيور: نحن نكفله ونغنم خدمته العظيمة. قالت الوحوش: نحن أولى بذلك؛ ننال شرفه وتعظيمه. فنادى لسان القدرة: أن يا جميع المخلوقات، إن الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة، أن نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة". وقوله حكاية عن حليمة عندما قررت أن تأخذه: "فذهبت فإذا به مدرج في ثوب أبيض من اللبن، يفوح منه المسك، وتحته حريرة خضراء، راقدا على قفاه يغط، فأشفقت أن أوقظه من نومه؛ لحسنه وجماله، فدنوت منه رويدا، فوضعت يَدَيّ على صدره، فتبسم ضاحكا، وفتح عينيه لينظر إليّ، فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر، فقبلته بين عينيه، وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء من==

وذكرها أيضا الحِمْيَرِي الشهير بـ "بَحْرَق"[١]، والدِّيارُ بَكْرِيّ[٢]، وعبد الملك العصامي[٣]، والزرقاني[٤]، والألباني[٥].

== لبن، فحولته إلى الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعد. قال أهل العلم: أعلمه الله تعالى أن له شريكا، فألهمه العدل. قالت: فَرَوَى وَرَوَى أخوه". وقوله حكاية عن حليمة أيضا: "ثم ركبت أتاني وأخذت محمدا بين يَدَيّ، قالت: فنظرت إلى الأتان وقد سَجَدَتْ نحو الكعبة ثلاثَ سَجْدَات، ورَفَعَتْ رأسَها إلى السماء، ثم مَشَتْ حتى سَبَقَتْ دوابَّ الناس الذين كانوا معي، وصار الناس يتعجبون مني ويقلن النساء لي وهن ورائي: يا بنتَ أبى ذؤيب، أهذه أتانك التي كنت عليها وأنت جائية معنا، تخفضك طورا وترفعك أخرى؟ فأقول: تالله إنها هي. فيتعجبن منها ويقلن: إن لها لشأنا عظيما. قالت: فكنت أسْمَعُ أتاني تنطق وتقول: والله إنَّ لِي لشأنا ثم شأنا؛ بَعَثَنِي اللهُ بعد مَوْتِي، ورَدَّ لي سمني بعد هُزَالِي، وَيْحَكُنَّ يا نساءَ بني سعد! إنكن لفي غفلة، وهل تدرين مَنْ عَلَى ظهري؟ على ظهري خيار النبيين، وسيد المرسلين، وخير الأولين والآخرين، وحبيب رب العالمين". انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١، ص٩٠-٩٢. وقد نقل عبدُ الملك العصامي ذلك عن القسطلاني، انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج١، ص٣٠٧-٣٠٨. ونقله كذلك الزرقاني، انظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ج١، ص٢٧٠-٢٧٢.

(١) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ج١، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج١، ص٢٢٢-٢٢٤.

(٣) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج١، ص٣٠٧-٣٠٨.

(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١، ص٢٦٤-٢٧٢.

(٥) ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج١، ص١٥٠-١٥٣.

ب - رواية الواقدي:

وقد ذكرها كاتبه محمد بن سعد؛ فقال: "أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ وَاقِدٍ الْأَسْلَمِيُّ، أَخْبَرَنَا زَكَرِيَّا[1] بْنُ يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمَ مَكَّةَ عَشْرُ نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ؛ يَطْلُبْنَ الرَّضَاعَ، فَأَصَبْنَ الرَّضَاعَ كُلُّهُنَّ إِلَّا حَلِيمَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِجْنَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ رِزَامِ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ فُصَيَّةَ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ابْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنَ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ. وَكَانَ مَعَهَا زَوْجُهَا الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ مِلَّانَ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ فُصَيَّةَ بْنِ نَصْرِ ابْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وَيُكْنَى أَبَا ذُؤَيْبٍ، وَوَلَدُهَا مِنْهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ؛ وَكَانَتْ تُرْضِعُهُ، وَأُنَيْسَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، وَجُدَامَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ؛ وَهِيَ الشَّيْمَاءُ، وَكَانَتْ هِيَ الَّتِي تَحْضُنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أُمِّهَا وَتُوَرِّكُهُ، فَعُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَتْ تَقُولُ: يَتِيمٌ وَلَا مَالَ لَهُ، وَمَا عَسَتْ أُمُّهُ أَنْ تَفْعَلَ. فَخَرَجَ النِّسْوَةُ وَخَلَّفْنَهَا، فَقَالَتْ حَلِيمَةُ لِزَوْجِهَا: مَا تَرَى؟ قَدْ خَرَجَ صَوَاحِبِي، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ غُلَامٌ يُسْتَرْضَعُ إِلَّا هَذَا الْغُلَامُ الْيَتِيمُ، فَلَوْ أَنَّا أَخَذْنَاهُ؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى بِلَادِنَا وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئًا. فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا: خُذِيهِ؛ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ خَيْرًا. فَجَاءَتْ إِلَى أُمِّهِ فَأَخَذَتْهُ مِنْهَا، فَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَاهَا حَتَّى يَقْطُرَا لَبَنًا، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رُوِيَ، وَشَرِبَ أَخُوهُ، وَلَقَدْ كَانَ أَخُوهُ لَا يَنَامُ مِنَ الْغَرَثِ[2]، وَقَالَتْ أُمُّهُ: يَا ظِئْرُ، سَلِي

---

(١) بحثت عنه في المكتبة الشاملة، فلم أعثر له على ترجمة. وقال عنه الألباني: "زكريا بن يحيى وأبوه لم أجد مَنْ ذَكَرَهُمَا". انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ج٤، ص١٨٥.

(٢) "**الغَرَثُ**: أَيْسَرُ الْجُوعِ؛ وَقِيلَ: شِدَّتُه؛ وَقِيلَ: هُوَ الجوعُ عامَّةً ... وَفِي الْحَدِيثِ: كلُّ عَالِمٍ غَرْثَانُ إِلى عِلْم، أَي جائعٌ. والتَّغْرِيثُ: التَّجْوِيع. يُقَالُ: غَرَّثَ كلابَه، جَوَّعَها". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨٢ ص١٧٢. باب الثاء، فصل الغين المعجمة.

عَنِ ابْنِكِ؛ فَإِنَّـهُ سَيَكُونُ لَـهُ شَـأْنٌ. وَأَخْبَرَتْهَا مَا رَأَتْ وَمَا قِيلَ لَهَا فِيهِ حِينَ وَلَدَتْـهُ، وَقَالَتْ: قِيلَ لِي ثَلَاثَ لَيَالٍ: اسْتَرْضِعِي ابْنَكِ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، ثُمَّ فِي آلِ أَبِي ذُؤَيْبٍ. قَالَتْ حَلِيمَـةُ: فَإِنَّ أَبَا هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي فِي حِجْرِي أَبُو ذُؤَيْبٍ، وَهُوَ زَوْجِي. فَطَابَتْ نَفْسُ حَلِيمَـةَ، وَسُرَّتْ بِكُلِّ مَا سَمِعَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهَا، فَحَدَجُوا[1] أَتَـانَهُمْ، فَرَكِبَتْهَا حَلِيمَـةُ، وَحَمَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهَا، وَرَكِبَ الْحَارِثُ شَارِفَهُمْ، فَطَلَعَا عَلَى صَوَاحِبِهَا بِوَادِي السِّرَرِ، وَهُنَّ مُرْتِعَاتٌ[2] وَهُمَا يَتَوَاهَقَانِ[3]، فَقُلْنَ: يَا

(١) "**الحِدْجُ**: الحِمْلُ ... والحُدُوجُ: الإِبلُ بِرِحَالِهَا ... قَالَ اللَّيْثُ: الحِدْجُ مَرْكَبٌ لَيْسَ بِرَحْلٍ وَلَا هَوْدَجٍ، تَرْكَبُهُ نساءُ الأَعراب. قَالَ الأَزهري: الحِدْجُ، بِكَسْرِ الْحَاءِ، مَرْكَبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ نَحْوُ الْهَوْدَجِ والمِحَفَّة ... وحَدَجَ البعيرَ والنَّاقَةَ يَحْدِجُهما حَدْجاً وحِداجاً، وأَحْدَجَهما: شَدَّ عَلَيْهِمَا الحِدْجَ والأَداةَ ووَسَّقَهُ ... وَسُمِّيَ الْهَوْدَجُ الْمَشْدُودُ فَوْقَ الْقَتَبِ حَتَّى يُشَدَّ عَلَى الْبَعِيرِ شَدًّا وَاحِدًا بِجَمِيعِ أَداته: حِدْجاً، وَجَمْعُهُ حُدُوجٌ. وَيُقَالُ: احْدِجْ بَعِيرَكَ أَي شُدَّ عَلَيْهِ قَتَبَهُ بأَداتـه". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١. باب الجيم، فصل الحاء المهملة.

(٢) "**الرَّتْـعُ**: الأَكل وَالشُّرْبُ رَغَداً فِي الرِّيف، رَتَـعَ يَرْتَـعُ رَتْعاً ورُتوعاً ورِتاعاً، وَالِاسْمُ الرَّتْعةُ والرَّتَعةُ. يُقَالُ: خَرَجْنَا نَرْتَعُ ونَلْعب؛ أَي نَنْعَم ونَلْهُو ... وَقَوْمٌ مُرْتِعُون: راتِعُون إِذا كَانُوا مَخاصِيبَ، وَالْمَوْضِعُ مَرْتَعٌ، وكلُّ مُخْصِب مُرْتِع ... وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِخوة يُوسُفَ: أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَـعْ وَيَلْعَبْ؛ أَي يَلْهُو ويَنْعَم، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَسْعَى ويَنْبَسِط، وَقِيلَ: مَعْنَى يَرتَـع يأْكل؛ ... ورتَعَت الماشِيَةُ تَرْتَع رَتْعاً ورُتُوعاً: أَكلت مَا شَاءَتْ وَجَاءَتْ وَذَهَبَتْ فِي المَرْعَى نَهَارًا، وأَرْتَعْتُها أَنا فَرَتَعت ... وماشِيةٌ رُتَّـعٌ ورُتُوع ورَواتِـعُ وَرِتـاعٌ ... وَفِي حَدِيثِ ابْنِ زِمْلٍ: فَمِنْهُمُ المُرْتِع أَي الَّذِي يُخَلِّي رِكابَه تَرْتَع ... وأَرْتَعَ القومُ: وَقَعُوا فِي خِصب ورَعَوْا. وَقَوْمٌ رَتِعُون مُرْتِعُون". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص١١٢-١١٣. باب العين، فصل الراء.

(٣) "**المُواهقَة** فِي السَّيْرِ: الْمُوَاظَبَةُ وَمَدُّ الأَعناق. وَهَذِهِ النَّاقَةُ تُواهِق هَذِهِ: كأَنها تُبارِيها فِي السَّيْرِ. وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ: فَانْطَلَقَ الْجَمَلُ يُواهِقُ نَاقَتَـهُ مُوَاهِقَـةً، أَي يُبَارِيهَا فِي السَّيْرِ وَيُمَاشِيهَا. ومُواهقة الإِبل: مَدّ أَعناقها فِي السَّيْرِ. والمُواهقَة: أَنْ تَسِيرَ مِثْلَ سَيْرِ صَاحِبِكَ وَهِيَ الْمُوَاضَخَةُ==

حَلِيمَةُ، مَا صَنَعْتِ؟ فَقَالَتْ: أَخَذْتُ وَاللَّهِ خَيْرَ مَوْلُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ، وَأَعْظَمَهُمْ بَرَكَةً. قَالَ النِّسْوَةُ: أَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَمَا رَحَلْنَا مِنْ مَنْزِلِنَا ذَلِكَ حَتَّى رَأَيْتُ الْحَسَدَ مِنْ بَعْضِ نِسَائِنَا"[1].

وقد ذكرها كذلك نقلا عن الواقدي: أبو نُعَيْم الأصبهاني[2]، وابن عساكر[3]، وابن ناصر الدين الدمشقي[4]، والمقريزي[5].

== وَالْمُوَاغَدَةُ كُلُّهُ وَاحِدٌ. وَقَدْ تواهَقَت الرُّكَّابُ أَي تَسايَرَتْ". انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص٣٨٥. باب القاف، فصل الواو.

(١) الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١١٠-١١١. ونقل ابن سعد عن الواقدي بسنده رواية أخري؛ ذكر فيها الواقدي: "أن أم النبي ﷺ لما دفعته إلى السعدية التي أرضعته قالت لها: احفظي ابني. وأخبرتها بما رأت ...".

(٢) دلائل النبوة ، ج١، ص١٥٧.

(٣) تاريخ دمشق، ج٣، ص٨٦-٨٨.

(٤) جامع الآثار في السير ومولد المختار، ج٣، ص٢٦٣-٢٦٥.

(٥) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ج٤ ، ص٨٧-٨٨.

الصورة الثانية:

أ- رواية ابن إسحاق:

وقد ذكرها الطبري بسنده إلي ابن إسحاق قائلا: "حدثنا ابن حميد[1] قال: حدثنا سلمة[2] عن ابن إسحاق، قال: فيزعمون أنَّ عبدَ المطلب أخذه فدخل به على هُبَل

---

(١) **محمد بن حميد**: أبو عبد الله محمد بن حميد بن حيان الرازي، العلامة الحافظ الكبير، مولده في حدود الستين ومائة. حَدَّثَ عن ابن المبارك، والفضل بن موسى، وسلمة بن الفضل الأبرش، وخلق كثير من طبقتهم. وهو مع إمامته منكر الحديث، صاحب عجائب. وحَدَّثَ عنه أبوداود، والترمذي، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن جرير الطبري، وخلق كثير. قال البخاري: في حديثه نظر. وقال صالح بن محمد: كنا نتهم ابن حميد. قال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك يقول: دخلت على ابن حميد، وهو يركب الأسانيد على المتون. قلت: آفته هذا الفعل، وإلا فما أعتقد فيه أنه يضع متنا. قال يعقوب بن إسحاق الفقيه: سمعت صالح بن محمد الأسدي يقول: ما رأيت أحذق بالكذب من سليمان الشاذكوني، ومحمد بن حميد الرازي، وكان حديث محمد بن حميد كل يوم يزيد. قال أبو إسحاق الجوزجاني: هو غير ثقة. وقال النسائي: ليس بثقة. قلت: قد أكثر عنه ابن جرير في كتبه. ووقع لنا حديثه عاليا، ولا تركن النفس إلى ما يأتي به، فالله أعلم. مات ابن حميد سنة ثمان وأربعين ومائتين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٥٠٣ – ٥٠٥.

(٢) **سلمة**: هو "سلمة بن الفضل الرازي الأبرش، الإمام قاضي الري أبو عبد الله. حَدَّثَ عن: ابن إسحاق، وأيمن بن نابل، وحجاج بن أرطاة، وعمرو بن أبي قيس، وسفيان الثوري، وطائفة. وَعَنْهُ: عبد الله المسندي، ويحيى بن معين، وعثمان بن أبي شيبة، ومحمد بن حميد، ويوسف بن موسى القطان، وعدة. وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال البخاري: عنده مناكير. وقال النسائي: ضعيف. وقال أبو زرعة: أهل الري لا يرغبون فيه لظلم فيه. وقال ابن معين: كان يتشيع وكان معلم كتاب. وقال ابن سعد: ثقة، يقال: إنه من أخشع الناس في صلاته. قلت: كان قويا في المغازي. توفي سنة إحدى وتسعين ومائة. وقد سمع منه ابن المديني وتركه". انظر: ==

في جوف الكعبة، فقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها، والْتَمَسَ له الرُّضَعَاء، فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر، يقال لها حليمة ابنة أبي ذؤيب ..." [١].

وذكرها البيهقي[٢] بسنده إلي يُونُس بْن بُكَيْرٍ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ. وذكرها –نقلا عن ابن إسحاق، وبدون سند– ابن حبَّان[٣]، والسُّهَيْلِيّ[٤]، وقد ذكرها بلفظ "ويزعمون". والكُلاعي[٥]، وابن سَيِّد الناس[٦]، وابن كثير[٧].

== الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٥٠. وقال عنه ابن حجر العسقلاني: "صدوق كثير الخطأ". انظر: "تقريب التهذيب، ص١٨٨، ترجمة قم ٢٥٠٥.

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص١٥٧.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج١، ص١٣١-١٣٢.

(٣) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج١، ص٥٣-٥٤.

(٤) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ج٢ ، ص١٤٤.

(٥) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، ج ١ ، ص١١٠.

(٦) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ج١ ، ص٤١.

(٧) البداية والنهاية، ج٢ ، ص٢٧٣.

ب - رواية الأُمَوِيّ[1]:

وقد ذكرها ابن كثير فقال: "وَذَكَرَ الْأُمَوِيُّ مِنْ طَرِيقِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَقَّاصِيِّ[2]- وَهُوَ ضَعِيفٌ- عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قِصَّةَ مَوْلِدِهِ عَلَيْهِ

---

(١) **الأموي** : هو سَعِيد بْن يحيى بْن سَعِيد بن أبان بن سَعِيد بن العاص الْقُرَشِيّ، الأُمَوِي، أبو عُثْمَان البغدادي، صاحب المغازي. روى عن: عبد الله بْن إدريس، وعمه عَبد اللَّهِ بْن سَعِيد الأُمَوِي، وعَبْد اللَّهِ بْن المبارك، وعبد الملك بْن قريب الأَصْمَعِيّ، وعمه عُبَيد بْن سَعِيد الأُمَوِي، وعمه مُحَمَّد بْن سَعِيد الأُمَوِي، ووكيع بْن الجراح، وأبيه يحيى بْن سَعِيد الأُمَوِي صاحب المغازي، وغيرهم. ورَوَى عَنه: الجماعة سوى ابْن ماجه، وإبراهيم بْن إسحاق الحربي، وأَبُو يَعْلَى الموصلي، وأبو بكر أحمد بْن عَمْرو البزار، وبَقِيّ بْن مخلد الأندلسي، وعبد الله بْن مُحَمَّد البغوي، ويعقوب بْن سفيان الفارسي. قَال النَّسَائي: ثقة. وَقَال أَبُو حاتم، وصالح بْن مُحَمَّدٍ: صدوق. مات للنصف من ذي القعدة سنة تسع وأربعين ومئتين. انظر: المزي، تهذيب الكمال، ج١١، ص١٠٤.

(٢) **عثمان الوقاصي** : هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص، أَبُو عَمْرو، الوقاصي، الزُّهْرِيّ، المدني، ويقال له المالكي؛ نسبة إلى جده أبي وقاص مالك. روى عن عمة أبيه عائشة، وابن أبي مُلَيْكَة، والزُّهْرِيّ، وعطاء، وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ومحمد بن كعب القرظي، وغيرهم. وعنه يُونُس بن بُكَيْر الشيباني، وحجاج بن نصير، والهذيل بن إبراهيم الحِمَّانِي، وإسماعيل بن أبان الوراق، وصالح بن مالك الخوارزمي، ومحمد بن يعلى بن زنبور، وأبو عمر الأزدي، ويحيى بن بشر الحريري، وآخرون. توفي في خلافة هارون. انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٧، ص١٣٣-١٣٤.

قال عنه البخاري: "تركوه". انظر: التاريخ الكبير، ج٦، ص٢٣٨. وقال الإمام مسلم: "ذاهب الحديث". انظر: الكُنَى والأسماء، ج١، ص٥٦٩. وقال النسائي: "مَتْرُوك الحَدِيث". انظر: الضعفاء والمتروكون، ج١، ص٧٥. وقال ابن أبي حاتم الرازي: "سمعت أبي يقول ... متروك الحديث، ذاهب الحديث، كذاب". انظر: الجرح والتعديل، ج٦، ص١٥٧. وقال ابن حبان البستي: "كَانَ مِمَّن يروي عَن الثِّقَات الْأَشْيَاء الموضوعات، لَا يجوز الِاحْتِجَاج بِهِ". انظر: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج٢، ص٩٨. وقال ابن عَدِيّ: "سكتوا عنه. سمعتُ ابن حماد==

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَرَضَاعِهِ مِنْ حَلِيمَةَ عَلَى غَيْرِ سِيَاقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ. وَذَكَرَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَمَرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَهُ فَيَطُوفَ به في أحياء العرب ليتخذ لَهُ مُرْضِعَةً، فَطَافَ حَتَّى اسْتَأْجَرَ حَلِيمَةَ عَلَى رَضَاعِهِ"(١).

== يَقُولُ: قَالَ السعدي عُثْمَان الوقاصي ساقط ... عامة أحاديثه مَنَاكِيرُ ؛ إِمَّا إِسْنَادَهُ أَوْ مَتْنَهُ مُنْكَرًا". انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٦، ص٢٧١ و٢٧٣. وذكره العُقَيْلِيُّ في كتاب الضعفاء، ج٤، ص٢١٧، وقال: "حَدثنا مُحمد بن عِيسى، قال: حَدثنا عَباس، قال: سمعتُ يَحيَى بن مَعِين يقول: عُثمان بن عَبد الرَّحمَن الوقاصيّ، ضَعيفٌ. وقال في مَوضِع آخَرَ: لَيس بِشَيء". وقال الدار قطني: "متروك". انظر: ابن حمزة المقدسي، المعروف بابن زريق، مَنْ تَكلَّم فيه الدَّارقطني في كتاب السنن من الضعفاء والمتروكين والمجهولين، ج٣، ص١٠٦. وقال الذهبي: "متروك الحديث". انظر: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١٤٠. وقد ذكر ابن حجر العسقلاني طائفة أخري من أقوال العلماء فيه فقال: "قال ابن معين: لا يُكْتب حديثه؛ كان يكذب. وقال مرة: ضعيف. وقال مرة: ليس بشيئ. وقال ابن المديني: ضعيف جدا. وقال الجوزجاني: ساقط. وقال يعقوب بن سفيان: لا يكتب حديثه أهل العلم إلا للمعرفة، ويحتج بروايته ... وقال أبو داود: ليس بشيئ. وقال الترمذي: ليس بالقوي. وقال النسائي: ... ليس بثقة، ولا يكتب حديثه ... وقال الساجي: يحدث بأحاديث بواطيل. وقال ابن البرقي: ليس بثقة. وقال أبو بكر البزار: لَيِّنُ الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: متروك الحديث". انظر: تهذيب التهذيب، ج٧، ص١٣٣-١٣٤.

(١) البداية والنهاية، ج٢ ، ص٢٧٧.

نقد القصة :

بالنظر إلى الصورتين اللتَيْن وردت بهما القصة، ورواياتها الأربع، ورُوَاتِهَا، يتأكد لي أَنَّ القصة ضعيفة وباطلة، ولا أساس لها من الصحة؛ وذلك للأسباب الآتية:

أولا – تعدّد الصورة التي وردت بها القصة، والاختلاف الكبير بين الروايات في تفاصيلها، يبطل القصة ويجعلها غير صحيحة؛ إذ لو كانت صحيحة لاتفق الرواة والمؤرخون على مضمونها، ولم يحدث بينهم اختلاف كبير.

فالصورة الأولي للقصة تضمنت أَنَّ المُرْضِعَاتِ جِئْنَ إلى مَكَّةَ يَلْتَمِسْنَ الرُّضَعَاءَ، فكان مُحَمَّدٌ ﷺ من نصيبِ حليمةَ السعدية، وقد وردت فيها روايتان، بينهما اختلاف كبير؛ إحداهما لابن إسحاق، والثانية للواقدي.

فأما رواية ابن إسحاق؛ فقد تضمنت أَنَّ حليمة خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا على أَتَانٍ لها هزيلة –مَعَ زَوْجِهَا وَابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ– فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ –لم تحدد الرواية عددهن، بينما حددتهن رواية الواقدي بعشر نسوة فيهن حليمة– وجِئْنَ إلى مَكَّةَ يَلْتَمِسْنَ الرُّضَعَاءَ، فَمَا من امرأة منهن إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُنَّ إِنَّمَا كُنَّ يَرْجُونَ الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّ يَقُلْنَ: يَتِيمٌ! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ! فَكُنَّ يتركنه لِذَلِكَ –وهو ما لم يرد ذكره أبداً في رواية الواقدي– ومَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ منهن إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْر حليمة، فلما لم يَبْقَ إلا هو؛ ذَهَبت إِلَيْهِ حليمة فَأَخَذَتْهُ، وَمَا حَمَلَها عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أنها لَمْ تجِدْ غَيْرَهُ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُ ورَجَعَتْ بِهِ إِلَى رَحْلِها، ووَضَعَتْهُ فِي حِجْرِها، أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَاها بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، وحَلَّتْ البركةُ عليها وعلى أتانها، حتى إنها لما خَرَجَت به، وَرَكِبَتْ أَتَانَها وَحَمَلَتْهُ عَلَيْهَا معها، قَطَعَتْ أتانها بِالرَّكْبِ وسبَقَتْهم؛ حتى إنه مَا يَقْدِرُ

عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِمْ، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِها ليَقُلْنَ لها: يَا ابنة أَبِي ذُؤَيْبٍ، وَيْحَكَ! ارْبَعِي عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَكَ الَّتِي كُنْتُ خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟ فَتقُولُ لَهُنَّ: بَلَى وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ. فَيَقُلْنَ: وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا.

كما تضمنت الرواية أيضا ذكر حادثة شق الصدر له ﷺ وهو ابن سنتين وعدة أشهر، وهو ما لم يرد ذكره أبدا في رواية الواقدي ولا في غيرها مِنْ روايَتَيْ الصورة الثانية.

وتنتهي الرواية بإرجاع حليمة محمداً ﷺ إلى أمه آمنة بعد حادثة شق الصدر، وقول آمنة لحليمة: رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ، أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فَوَ الله مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَيَّ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ، رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دَعِيهِ عَنْكَ وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً. وهو ما لم يرد ذكره أيضا في رواية الواقدي ولا في غيرها مِنْ روايَتَيْ الصورة الثانية.

<u>وأما رواية الواقدي</u>؛ فقد تضمنت أَنَّ عَشْرُ نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ –فيهن حليمة بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، وَكان معها زَوْجَهَا الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى– قَدِمْنَ إلى مَكَّةَ يَطْلُبْنَ الرَّضَاعَ، فَأَصَبْنَ الرَّضَاعَ كُلُّهُنَّ إِلَّا حَلِيمَةَ، فَعُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَتْ تَقُولُ: يَتِيمٌ وَلَا مَالَ لَهُ، وَمَا عَسَتْ أُمُّهُ أَنْ تَفْعَلَ. فَلما خَرَجَ النِّسْوَةُ وَخَلَّفْنَ حليمة، قَالَتْ حَلِيمَةُ لِزَوْجِهَا: مَا تَرَى؟ قَدْ خَرَجَ صَوَاحِبِي، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ غُلَامٌ يُسْتَرْضَعُ إِلَّا هَذَا الْغُلَامُ الْيَتِيمُ، فَلَوْ أَنَّا أَخَذْنَاهُ؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى بِلَادِنَا وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئًا. فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا: خُذِيهِ؛ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ خَيْرًا. فَجَاءَتْ إِلَى أُمِّهِ فَأَخَذَتْهُ مِنْهَا، فَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَاهَا يَقْطُرَانِ لَبَنًا، فقالت آمنة لحليمة: قِيلَ لِي ثَلَاثَ لَيَالٍ: اسْتَرْضِعِي ابْنَكِ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، ثُمَّ فِي آلِ أَبِي ذُؤَيْبٍ. فقَالَتْ

حَلِيمَةُ لها: إِنَّ أَبَا هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي فِي حِجْرِي أَبُو ذُؤَيْبٍ، وَهُوَ زَوْجِي –وهو ما لم يرد ذكره في رواية ابن إسحاق السابقة، ولا في أَيٍّ مِنْ رِوَايَتَيْ الصورة الثانية– فَطَابَتْ نَفْسُ حَلِيمَةَ، وَسُرَّتْ بِكُلِّ مَا سَمِعَتْ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهَا، ثم ركبت أتانَها وحملته ﷺ بين يديها، وَرَكِبَ زوجها شَارِفَهُمْ، فَلما طَلَعَا عَلَى صَوَاحِبِهَا بِوَادِي السِّرَرِ، قُلْنَ لها: يَا حَلِيمَةُ، مَا صَنَعْتِ؟ فَقَالَتْ: أَخَذْتُ وَاللَّهِ خَيْرَ مَوْلُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ، وَأَعْظَمَهُمْ بَرَكَةً. قَالَ النِّسْوَةُ: أَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَمَا رَحَلَتْ حليمة مِنْ مَنْزِلِها ذَلِكَ؛ حَتَّى رَأَتْ الْحَسَدَ مِنْ بَعْضِ النِسَاء اللاتي كُنَّ معها، وهو ما لم يرد ذكره أيضا في رواية ابن إسحاق السابقة، ولا أَيٍّ مِنْ رِوَايَتَيْ الصورة الثانية.

والصورة الثانية للقصة تضمنت أَنَّ عبد المطلب بن هاشم –جَدّ الرسول ﷺ– هو الذي الْتَمَسَ له الرَّضَعَاءَ، وقد وَرَدَتْ فيها روايتان أيضا؛ إحداهما لابن إسحاق، وقد رواها الطبري. والثانية للأموي، وقد رواها ابن كثير.

فأما رواية ابن إسحاق؛ فقد تضمنت أَنَّ عبد المطلب أخذ محمداً ﷺ ودفع إلى أُمِّهِ آمنة، والْتَمَسَ له الرَّضَعَاءَ، فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر، يقال لها حليمة ابنة أبي ذؤيب. وهو ما لم يرد ذكره في أَيٍّ مِنْ رِوَايَتَيْ الصورة الأولي.

وأما رواية الأُمَوِيّ؛ فقد تضمنت أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَمَرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَهُ فَيَطُوفَ به في أحياء العرب ليتخذ لَهُ مُرْضِعَةً، فَطَافَ حَتَّى اسْتَأْجَرَ حَلِيمَةَ عَلَى رَضَاعِهِ.

وكما هو واضح، فقد انفردت رواية الأموي بذكر عبد الله بن عبد المطلب، وهو ما لم يرد ذكره في رواية ابن إسحاق السابقة، ولا في أَيٍّ مِنْ رِوَايَتَيْ الصورة الأولي.

وبالتالي فإن هذا التعدّد للصورة التي وردت بها القصة، والاختلاف الكبير بين الروايات في تفاصيلها، يجعل النفس غير مطمئنة لحدوثها من الأساس؛ ويجعلني أري – مع ما يلي من أسباب أخري – أنها قصة باطلة ولا أساس لها من الصحة.

ثانيا – أن الرواية الأكثر شهرة وذِكْراً عند المؤرخين –وهي رواية ابن إسحاق المذكورة في الصورة الأولي للقصة– رواية ضعيفة سنداً ومتناً.

فأما من حيث السند؛ ففيه محمد بن إسحاق؛ وهو –كما سبق في ترجمته– قد وثَّقَهُ وصَدَّقَهُ البعض، وكَذَّبَهُ وضَعَّفَهُ وجَرَّحَهُ الكثيرون؛ ووصفوه بأنه كذاب، وضعيف الحديث، وليس بالقوي، ولا يُحْتَجّ به، وأنه كان يُدَلِّسُ كثيراً في حديثه، ويحدث عن المجهولين أحاديث باطلة، وقد أنكروا عَلَيْهِ تتبعه غزوات النَّبِيّ ﷺ عَنْ أَوْلَاد الْيَهُود الَّذين أَسْلمُوا، وأنه حَشَا في السيرة الكثيرَ من الأشياء المنكرة المنقطعة، والأشعار المكذوبة، وأنه كان مَرْمِيًّا بغير نوع من البدع، فقد رُمِيَ بالزندقة، وكَانَ يتشيع، وينسب إِلَى القدر، ولذلك أَمْسَكَ عَنِ الاحتجاج برواياته غير واحد من العلماء.

وفيه جَهْم بن أبي جَهْم، مولى الحارث بْن حاطب القرشي؛ وهو غير معروف، ومجهول الحال، وليست له ترجمة؛ وقد قال عنه الذهبي: "لا يُعْرَفْ، لَهُ قِصَّةُ حليمة السعدية"[1]. ولم يذكره أحد في شيوخ محمد بن إسحاق، أو ممن رَوَى عنهم ابن إسحاق، وهذا يؤكد أنه مجهول، ويعني أن السند فيه انقطاع بينه وبين ابن إسحاق.

(١) ميزان الاعتدال، ج١، ص٤٢٦.

وفي السند شك واضطراب مِنْ جَهْم بن أبي جَهْم؛ فقد رَوَي جَهْمُ هذه الرواية عن عبد الله بن جعفر، أو عمن حدثه عنه -أي عن عبد الله ابن جعفر- وهذا شك واضطراب غير مقبول، ويضعف السند.

وفي السند أيضا انقطاعٌ (١) بين عبدِ الله بن جعفر وحليمة؛ إذ لا يمكن بحال من الأحوال أن يلتقي عبدُ الله بن جعفر بحليمة، أو يسمع منها، حتي يروي عنها؛ ذلك أن عبد الله بن جعفر -كما سبق في ترجمته- وُلِدَ بالحبشة هو وأخَوَاه عَوْن ومُحمد، وعاد وهو صغير مع أبيه وأمه وإخوته إلي المدينة عام خيبر، أي سنة سبع من الهجرة، وكان صغيرا عندما اسْتُشْهِدَ أبوه بمؤتة سنة ثمان من الهجرة(٢). كما أن عمره يوم توفي النبي ﷺ -سنة ١١هـ- كان عشر سنوات كما قال ابن

(١) **الحديث المنقطع** : هو أحد أنواع الحديث، وقد اختلف العلماء في تعريفه، فمنهم من قال: هو أن يسقط من الإسناد رجل، أو يذكر فيه رجل مبهم. ومنهم من قال: المنقطع مثل المرسل، وهو كل ما لا يتصل إسناده، غير أن المرسل أكثر ما يطلق على ما رواه التابعي عن رسول الله ﷺ ، وهذا أقرب، وهو الذي صار إليه طوائف من الفقهاء وغيرهم. انظر: أحمد محمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص ٢٣.

(٢) يدل على ذلك أن الرسول ﷺ -كما سبق في ترجمة عبد الله بن جعفر- حِينَ دَخَلَ عَلَى زوجة جعفر ونَعَى لَهَا زوجَها، مَسَحُ عَلَى رأس عبد الله بن جعفر، وأخذ بيده حَتَّى رَقَى المِنْبَرَ، فأجلسه أمامه عَلَى الدرجة السفلى، وأخبر المسلمين أن جَعْفَرًا قَدِ اسْتُشْهِدَ، وأن اللَّهَ جعل لَهُ جناحين يطير بهما فِي الْجَنَّة، ويؤكد ذلك أن الرسولُ ﷺ لما ذهب إليهم بعد ثلاثة أيام من استشهاد جعفر، وطلب منهم أن يأتوه بأبناء جعفر؛ جِيءَ بِهم كَأَنَّهم أَفْرُخٌ، على حَدِّ قول عبد الله ابن جعفر، وأَمَرَ الحَلَّاقَ أن يَحْلِقَ رؤوسهم.

حجر[1]. وهذا كله يؤكد أنه كان صغيرا جدا، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يلتقي بحليمة ويسمع منها. وكيف يلتقي بها وهي مقيمة بديار بني سعد، وهو مقيم بالمدينة، ولم يثبت من طريق صحيح أنه ذهب إلى ديارها، أو أنها أتت إلى المدينة حيث كان يعيش؟ بل كيف يسمع منها ولم يثبت من طريق صحيح أنها ظلت حية حتى ذلك الحين؛ ذلك أن الغالب أنَّها توفيت قبل ذلك بزمن طويل؛ فَإِنَّها "مِنْ وَقْتِ أَرْضَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى وَقْتِ الْجِعْرَانَةِ –سنة ٨هـ– أَزْيَدَ مِنْ سِتِّينَ سَنَةً، وَأَقَلُّ مَا كَانَ عُمْرُهَا حِينَ أرضعته ﷺ ثلاثين سَنَةً"[2]. وهذا يعني أنها لو كانت حية حتى ذلك الحين؛ فإن عمرها لن يقل عن تسعين عاما، بل يزيد، ولو كانت حية حتى العام الثامن للهجرة؛ لكان لها دور أكيد في العفو عن قبيلتها هوازن؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ أَسَرَ هوازنْ –ومنهم بنو سعد– بَعْدَ وَقْعَتِهِ معهمْ يوم حُنَيْن، وَذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بِشَهْرٍ. وكما قال ابن كثير: "فَمَتُّوا إِلَيْهِ بِرَضَاعِهِ؛ فَأَعْتَقَهُمْ، وَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ"[3]. "وقَالَ خَطِيبُهُمْ زُهَيْرُ بْنُ صُرَدٍ: يَا رسول الله، إنما فِي الْحَظَائِرِ أُمَّهَاتُكَ وَخَالَاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ ... فَكَانَ هَذَا سَبَبَ إِعْتَاقِهِمْ عَنْ بَكْرَةِ أبيهم"[4]. فلو كانت حليمةُ حَيَّةً حتى ذلك الحين؛ لجاءوا بها لتشفع لهم عند رسول الله ﷺ ، ولكان لها دور كبير –عنده ﷺ– في العَفْوِ عنهم، ولَذَكَرَتْ المصادر ذلك؛ كما ذكرت مَوْقِفَ خَطِيبِهِمْ زُهَيْر بْن صُرَدٍ، ولَكِنَّ ذلك لم يحدث، ولم تذكر المصادر

(١) تهذيب التهذيب، ج٥، ص١٧١. وهذا يعني أن عمره يوم وفاة أبيه بمؤتة سنة ٨هـ كان سبع سنوات، وأن عمره يوم مجيئه من الحبشة عام خيبر سنة ٧هـ كان ست سنوات، وأنه وُلِدَ سنة ١هـ.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٣٦٤.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٧.

(٤) المصدر السابق ، ج٤، ص٣٦٤.

شيئا عنه، فتأكَّدَ لنا أنها ماتت قبل ذلك، وأنَّ عبدَ الله بن جعفر لم يسمع منها، وتأكد بالتالي أن السَّنَدَ منقطعٌ بينها وبين عبد الله بن جعفر، الأمر الذي يعني أنَّ سَنَدَ هذه الرواية ضعيف للغاية.

ويؤكد ذلك ما جاء في رواية البيهقي؛ التي ذكرها من طريق يُونُس بْن بُكَيْرٍ وصَرَّحَ فيها بالتحديث بين الرواة؛ حيث قال: "أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إسحاق، قال: حَدَّثَنِي جَهْمُ بْنُ أَبِي جَهْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرِ ابْنِ أَبَى طَالِبٍ، يَقُولُ: حُدِّثْتُ عَنْ حَلِيمَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ، أَنَّهَا قَالَتْ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي نِسْوَةٍ من بني سعد ..."[1]. وما ذكره ابن كثير؛ حيث قَال: "قال ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي جَهْمُ بْنُ أَبِي جَهْمٍ ... قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: حُدِّثْتُ عَنْ حليمة بنت الْحَارِثِ أَنَّهَا قَالَتْ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي نِسْوَةٍ من بني سعد ..."[2]. فإن هذا يعني صراحة أن جَهْمًا لم يسمع هذه الرواية من عبدِ الله بن جعفر مباشرة، وأن عبدَ الله بن جعفر كذلك لم يسمعها من حليمة السعدية مباشرة، وإنما سمعها من غيرها؛ الأمر الذي يؤكد ما ذَكَرْتُهُ مِنْ قَبْلُ أن السَّنَدَ منقطعٌ بين جَهْمٍ وعبدِ الله بن جعفر، وبين عبدِ الله بن جعفر وحليمة.

ولعل هذا ما جعل الألباني رحمه الله؛ يقول: "إن القصة لم تأت بإسناد تقوم به الحجة، وأشهر طرقها ما رواه محمد بن إسحاق عن جَهْمٍ بنِ أبي جَهْم، عن عبدِ

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ج١، ص١٣٢-١٣٣.
(٢) البداية والنهاية، ج٢، ص٢٧٣.

الله بن جعفر، عن حليمة بنت الحارث السعدية"(١). وُيَعَقِّب عليه بقوله: "هذا إسناد ضعيف فيه علتان: الأولى: الاضطراب في إسناده كما هو ظاهر؛ ففي الرواية الأولى عَنْعَنَةُ ابن إسحاق من جميع رواته، وفي الأخرى تصريحه بالتحديث مع تصريح الجَهْمِ بأنه لم يسمعه من عبد الله بن جعفر، وتَصْرِيحُ هَذَا بأنه لم يسمعه من حليمة، فَعَلَى الرواية الأولى فيه انقطاع بين ابن إسحاق والجَهْم؛ لأنَّ الأولَ مشهور بالتدليس، وعَلَى الرواية الأخرى الانقطاع في موضعين منه ... ويستبعد جدا أن يُدْرِكَ عبدُ الله ابن جعفر حليمةَ مرضعة الرسول ﷺ ؛ فإنه لما توفي النبي ﷺ كان عبدُ الله ابن عشر سنين، وهي وإن لم يذكروا لها وفاة؛ فمن المفروض عادة أنها توفيت قبل رسول الله ﷺ والله أعلم. وسواء كان الراجح الرواية الأولى أو الأخرى؛ فالإسناد منقطع لا محالة. والعلة الأخرى أن مداره على جَهْم بن أبي الجَهْم؛ وهو مجهول الحال"(٢).

وأما من حيث المتن، ففيه أمور غريبة وغير مقبولة؛ منها قول حليمة: "فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ؛ إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ! فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ". وقولها "فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ".

وهذا كلام غير مقبول، ومردود عليه بقول الأستاذ الدكتور/محمد أبو شهبة: إنه "كان من عادة أشراف العرب أن يتلمّسوا المراضع لأولادهم في البوادي؛ ليكون ذلك أَنْجَبَ لِلْوَلَدِ، وأَصَحَّ للبَدَنِ، وأَصْفَى لِلذِّهْنِ، وأَبْعَدَ عن الوَخَمِ، والكَسَلِ. وكانوا

(١) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ج١، ص٣٨.
(٢) المرجع السابق، ج١، ص٣٨-٣٩.

يقولون: إن المُرَبَّى في المُدُنِ يكونُ كَلِيلَ الذِّهْنِ، فَاتِرَ العَزِيمَةِ، ضَعِيفَ البُنْيَة. هذا إلى ما في نشأتهم بين الأعراب من استقامة اللسان بالفصيح من الكلام، والسلامة من اللَّحْن، والبراءة من الهجنة ... فمِنْ ثَمَّ كانوا يرسلون أبناءَهم إلى البادية حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة، ومن القبائل مَنْ كان لها في المراضع شُهْرَة، وفي الفصاحة مَكَان، ومنها قبيلة بني سعد التي منها حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية مرضعة النبي ﷺ"[1].

فَوُجَهَاءُ العَرَبِ وأشرافُهُم فقط هم الذين يحرصون على التماس المراضع لأولادهم، وهم القادرون وحدهم على منح الأجرة والعطايا للمرضعة، ولا فرق في ذلك بين أن يكون الأب حَيًّا أو مَيِّتًا؛ فإذا كان الرضيع هنا حَفِيدَ عبدِ المطلب[2] –سيد سادات مكة وأَوْجَهِ وجهائها– وعبد المطلب هو الذي يكفله؛ فإن هذا أَدْعَى لأن تتهافت عليه المُرْضِعَاتُ، وتَحْرِصْ على أخذه وإرضاعه، لاَ أَنْ تَأْبَيْنَهُ وتُعْرِضْنَ عَنْه، أو تَأْخُذَهُ إِحْدَاهُنَّ مُضْطَرَّةً لأنها لم تَجِدْ غيره؛ وذلك لثراء جَدِّهِ، وشِدَّةِ كَرَمِهِ، وهَلْ مِثْلُ عبدِ المطلب مَنْ يُتْرَكُ حَفِيدُهُ وتُعْرِض عنه المُرْضِعَاتُ؟ وهل يَقْبَلُ السَّادَةُ والأَشْرَافُ

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ج١، ص١٩١-١٩٢.

(٢) ذكر ابنُ كثير أن عبدَ المطلب قد "سَادَ فِي قُرَيْشٍ سِيَادَةً عظيمة، وذهب بشرفهم ورئاستهم؛ فَكَانَ جِمَاعُ أَمْرِهِمْ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ إِلَيْهِ السِّقَايَةُ وَالرِّفَادَةُ بَعْدَ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ الَّذِي جَدَّدَ حَفْرَ زمزم؛ بعد ما كَانَتْ مَطْمُومَةً مَنْ عَهْدِ جُرْهُمٍ، وَهُوَ أَوَّلُ من طَلَى الْكَعْبَةَ بِذَهَبٍ فِي أَبْوَابِهَا؛ مِنْ تَيْنَكَ الْغَزَالَتَيْنِ اللتين مِنْ ذَهَبٍ، واللتين جدهما فِي زَمْزَمَ مَعَ تِلْكَ الْأَسْيَافِ الْقَلْعِيَّةِ. انظر: البداية والنهاية، ج٢، ص٢٥٣. ولا ننسى أن أبرهة الحبشي عندما جاء لهدم الكعبة؛ أصاب مئتين من الإبل لعبد المطلب، وأن عبدَ المطلب فَدَى ابنَه عبدَ الله من الذبح بمائة من الإبل، فهل مِثْلُ هذا تأبى المُرْضعات أن تُرْضِعَ حفيدَه؟!

أن يُعْرَض أبناؤُهم على المُرْضِعَاتِ، فَيَقْبَلْنَهُمْ وَيَأْخُذْنَهُمْ، أَوْ يُعْرِضْنَ عنهم ويَتْرُكْنَهُمْ، وكأننا في سوق للرضاعة؟!!!

وفي المتن أيضا قول آمِنَةَ بنت وهب لحليمة: "ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فَوَ الله مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَيَّ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ، رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ". وهو أيضا كلام غريب وغير مقبول؛ ذلك أنه يُفْهَمُ منه أنَّ آمِنَةَ حَمَلَتْ قبله، وأنَّ حَمْلَهَا به ﷺ كان أسهلَ عليها مِنْ حَمْلِهَا السابق، وهو ما لم يَثْبُتْ؛ فَمَا عَلِمْنَا قَطُّ أَنَّهَا حَمَلَتْ قَبْلَهُ، ولا حَمَلَتْ بَعْدَهُ. ولذلك قال الأستاذ الدكتور/ أكرم ضياء العمري: ""لقد رُوِيَتْ قِصَصٌ وأخبارٌ حَوْلَ صِفَةِ حَمْلِ آمِنَةَ بِهِ، وأنها لَمْ تَرَ أَخَفَّ وَلاَ أَيْسَرَ مِنْهُ ... وَلَم يَثْبُتْ شَيْئٌ مِنْ هذه الحكايات"[1].

كما أنه مِنْ غير الطبيعي أن يُولَدَ فَيَنْزِل واضعًا يَدَيْهِ على الأرض، ورافعًا رأسَه إِلَى السَّمَاءِ؛ لأن الطفل عندما يُولَدُ يَنْزِلُ بِرَأْسِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، فتَتَلَقَّاهُ القَابِلَةُ، ويكون موصولا بأمه عن طريق الحَبْلِ السّرّي، ويكون مُغْمَضَ العَيْنَيْنِ، ويحتاج بعد نزوله إلى عدة دقائق؛ حتى يصل الأوكسجين إلى رئتيه ومُخِّهِ، فيبدأ بالصراخ، والتنفس الطبيعي، ويبدأ في فتح عينيه، وتحريك يديه ورجليه حركة بطيئة وضعيفة جدا، يستحيل معها أن يستطيع وَضْعَ يَدَيْهِ على الأرض، أو رَفْعَ رَأْسه إلى السماء. الأمر الذي يؤكد أن الرواية ضعيفة جدا سندا ومتنا.

(١) انظر: السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ، ج١، ص٩٨-٩٩.

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور/ أكرم ضياء العمري بقوله: "وردت أخبار ضعيفة تفيد أنه وقع حين وَلَدَتْهُ، وُقُوعًا ما يقعه المولود؛ معتمدًا على يديه، رافعًا رأسه إلى السماء"(١).

وهذا كله يؤكد أن رواية ابن إسحاق المذكورة في الصورة الأولي للقصة ضعيفة سنداً ومتناً، وباطلة، ولا أساس لها من الصحة. ويعني بالتالي أن حادثة شق الصدر التي تضمنتها هذه الرواية غير صحيحة أيضا؛ لضعف هذه الرواية سنداً ومتناً، ولكنه لا يعني عدم حدوثها مطلقا؛ لأنها ثابتة من طرق وروايات أخري صحيحة.

ثالثا – أن رواية الواقدي المذكورة في الصورة الأولي للقصة، سَنَدُهَا ضعيف جدا؛ ففيه محمد بن عمر الواقدي؛ وهو –كما سبق في ترجمته– ضَعِيفٌ بَيِّنُ الضَّعْفِ، وكَذَّابٌ، ومتروك، وذاهب الحديث، ولَيْسَ بِشَيْئ. وكان يقلب الأحاديث، ويَرْوِي عَن الثِّقَات المقلوبات، وَعَن الْأَثْبَات المُعْضِلَات. وحَدِيثُهُ عَنِ المَدَنِيِّينَ أَحادِيثُ مَنَاكِير، وقد رواها عَنْ شُيُوخٍ مَجْهُولِين. وكان يَضَعُ الحَدِيث، ومن الأربعة المعروفين بوضع الحديث على رسول الله ﷺ؛ وقد رَوَى ثلاثين ألف حديث غريب؛ غير محفوظة عَمَّن رَوَى عنهم إلا مِنْ رِوَايَتِهِ، وَالْبَلاءُ فيها مِنْهُ، وَمُتُونُ أَخْبَارِهِ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ. وقد جَمَعَ فَأَوْعَى، وخَلَطَ الغَثَّ بالسَّمِينِ، والخَرَزَ بِالدُّرِّ الثَّمِينِ؛ فاطرحوه لذلك. واستقر الإجماع عَلَى وَهَنِه. وهذا كله كَافٍ للشك في روايته، وطَرْحِهَا وعدم الاعتماد عليها.

(١) انظر: السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ، ج١، ص٩٩.

وفيه زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيُّ، وأَبوه، وهما غَيْرُ مَعْرُوفَيْن،أي مجهولي الحال، والسند بعدهما منقطع وموقوف علي يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيُّ.

وقد حَكَى يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيُّ، الحوار الذي دار بين حليمة وزوجها –حول رغبتها في أن تأخذ محمدا ﷺ لترضعه؛ حتى لا ترجع مِنْ بَيْنِ صواحبها بدون رضيع ترضعه– وكأنه كان معهما؛ مع أن هذا الحوار من الأمور الخاصة بين الزوجين، والذي لا يمكن أن يطلع عليه أو يسمعه أحد، فكيف عرفه يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيُّ؟! وكيف عرف أن حليمة عندما وَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا، أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَاهَا يَقْطُرَان لَبَنًا، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رَوِي، وَشَرِبَ أَخُوهُ؟! وَكيف عرف أن أخاه من الرضاع لَم يكن يَنَامُ مِنَ الْغَرَثِ، وَكيف عرف أن آمنة قَالَتْ لحليمة: يَا ظِئْرُ، سَلِي عَنِ ابْنِكِ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ. وَأنها أَخْبَرَتْهَا مَا رَأَتْ وَمَا قِيلَ لَهَا فِيهِ حِينَ وَلَدَتْهُ، وأنه قِيلَ لها ثَلَاثَ لَيَالٍ: اسْتَرْضِعِي ابْنَكِ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، ثُمَّ فِي آلِ أَبِي ذُؤَيْبٍ؟ هل كان جالسا معهما عندما دار هذا الحوار بينهما؟! إنَّ هذا يؤكد أنَّ السَّنَدَ منقطع بعد يَحْيَى ابْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيُّ وموقوف عَلَيه.

وجدير بالذكر أن هذه الرواية رغم ضعف سندها؛ إلا أنها لم تتضمن أيَّ شيئ عن رفض المرضعات أخذه ﷺ لإرضاعه، أو رفض حليمة نفسها، بل فيها قول حليمة حين عَلِمَتْ أنه يتيم: "يتيم ولا مال له، وما عَسَتْ أمه أن تفعل". وهذا لا يعني أبدًا رَفْضَها أخذَه، بل يعني أنها تفضل أن تأخذ رضيعا أبوه حَيٌّ؛ لتحظى بعطاء أبيه، فلما علمت أنه حفيد عبد المطلب، سيد سادات مكة، ورأت صاحباتها فد أخذن غيره من الرضعاء وانصرفن، سارعت إلى أخذه بعد أن أخبرت زوجها، وهذا مقبول عقلا، وهو الأقرب إلى الحدوث.

ويؤكد ذلك ما تضمنته الرواية من حَسَد المرضعات لحليمة بسبب أخذها له، وقولهن لحليمة بعد أن أَخَذَتْه: "أَهُوَ ابن عبد المطلب"؟ فإن هذا يعني أنهن يعرفن عبد المطلب، ويعرفن أنه كافل الطفل اليتيم الذي أخذته حليمة، وأنهن كُنَّ يَتَمَنَّيْنَ أن يَأْخُذْنَهُ لِيُرْضِعْنَهُ؛ أَمَلاً في نَيْلِ عَطَاءِ جَدِّه عبد المطلب –سيد سادات مكة، وأوجه وجهائها، وأَغْنَى أغنيائها– فلم يستطعن، ولعل عدم استطاعتهن أخذه؛ بسبب ما تضمنته الرواية من قول أُمِّه آمنة لحليمة: "قيل لي ثلاث ليال: استرضعي ابنك في بني سعد بن بكر، ثم في آل أبي ذؤيب". فلعلهن كُنَّ يَطْلُبْنَ أخذه لإرضاعه، فتسألهن أُمُّهُ آمنة عن بيتهن، فلا تجدهن من آل أبي ذؤيب، فترفض أن تعطيه لهن، فلما علمت أن حليمة زوجة أبي ذؤيب، أعطته لها، وأوصتها به، ولذلك حَسَدَت المُرْضِعَاتُ حليمةَ عَلَى أخذه ﷺ، وهذا كله هو المُتَصَوَّرُ حُدُوثُهُ، والمَقْبُولُ عقلا، وهو ينفي تماما قِصَّةَ رَفْضِهِنَّ أَخْذَهُ لإرضاعه بِسَبَبِ مَوْتِ أبيه. وهل مِثْلُ عبد المطلب مَنْ يُتْرَكُ حَفِيدُهُ، وتَرْفُضُ المُرْضِعَاتُ أَخْذَهُ لإرضاعه؟! وهل تَحْسِدُ المُرْضِعَاتُ حَلِيمَةَ إلا عَلَى أنها تمكنت مِنْ أَخْذِ مَا كُنَّ يَتَمَنَّيْنَ الحصولَ عليه ولم يستطعن؟!

رابعا – أن رواية ابن إسحاق المذكورة في الصورة الثانية للقصة، والتي ذكرها الطبري بسنده إلى ابن إسحاق –وفيها أَنَّ عبد المطلب بن هاشم، جَدّ الرسول ﷺ ، هو الذي الْتَمَسَ له الرَّضَعَاءَ– سَنَدُهَا ضعيفٌ أيضا؛ ففي سندها محمد بن حميد، وهو –كما سبق في ترجمته– منكر الحديث، صاحب عجائب، وكان يركب الأسانيد على المتون. وفيه سلمة بن الفضل الرازي الأبرش، وهو –كما سبق في ترجمته– ضعيف، ولا يُحْتَجُّ به، وعنده مناكير، وكان يتشيع، وقد سمع منه ابن المديني وتركه. وفيه ابن إسحاق، وهو ضعيف، وقد سبق الكلام عنه بما يغني عن إعادته هنا.

أضف إلى ذلك أن سند هذه الرواية منقطع بعد ابن إسحاق، وموقوف عليه؛ الأمر الذي يؤكد أن سَنَدَهَا ضعيفٌ للغاية. وفضلا عن ذلك؛ فقد بدأها ابن إسحاق بلفظ "يزعمون"، وهي صيغة تمريضية تدل على ضعف الرواية، والشَّكِّ في مضمونها.

وهذه الصورة –رغم ضعف سندها– إلا أن متنها هو الأقرب للواقع؛ لأن أهل الطفل الرضيع –بحكم العادات والتقاليد–هم الذين يبحثون له عن مرضعة – يختارونها من بين عدد من المرضعات– يكون لبنها غزيرا ودسما، ويتفقون معها علي أجرتها مقابل إرضاع ابنهم، وليست المُرْضِعَةُ هي التي تختار الطفلَ الذي تُرْضِعُهُ، فالأهل هم الذين يختارون المُرْضِعَةَ ويستأجرونها؛ كما يختار الرجلُ أحدَ الصناع ويستأجره ليصنع له شيئا، وكما لا يقبل العقل أن يختار الصانعُ الرجلَ الذي يعمل له؛ فإنه لا يقبل أيضا أن يُعْرَضَ الأطفالُ الرُّضَّعُ علي المُرْضِعَاتِ؛ لتختارَ المُرْضِعَاتُ مَنْ تشاءُ منهم، وتترك مَنْ تشاء، وكأننا في سوق للرّضاعة!!!

خامسا – أنَّ روايةَ الأُمَوِيِّ المذكورة في الصورة الثانية للقصة، والتي ذكرها ابن كثير –وفيها أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَمَرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَهُ؛ فَيَطُوفَ به في أحياء العرب؛ ليتخذ لَهُ مُرْضِعَةً، فَطَافَ حَتَّى اسْتَأْجَرَ حَلِيمَةَ عَلَى رَضَاعِهِ – روايةٌ ضعيفةٌ سنداً ومتناً.

فأما من حيث السند؛ ففيه عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَقَّاصِيّ، وهو –كما سبق في ترجمته– ضعيف جداً، وساقط، وكذاب، ومتروك الحديث، ولَيس بِشَيئ، وكَانَ مِمَّن يروي عَن الثِّقَات الْأَشْيَاء الموضوعات، ويحدث بأحاديث بواطيل، وعامة أحاديثه مَنَاكِيرُ، ولا يُكْتَب حديثه، ولَا يجوز الِاحْتِجَاج بِهِ. أضف إلى ذلك أن السَّنَدَ موقوف علي سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ومنقطع بعده.

وأما من حيث المتن، ففيه أن عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَمَرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَهُ؛ فَيَطُوفَ به في أحياء العرب؛ ليتخذ لَهُ مُرْضِعَةً، وهذا أمر غريب ومُنْكَرٌ جِدًا؛ فإن عبدَ الله بن عبد المطلب لم يكن موجودا في ذلك الوقت؛ فقد مات قبل مولده ﷺ بفترة؛ يدل على ذلك قول ابن كثير: "تُوُفِّيَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ عَلَى الْمَشْهُورِ"(١). وقوله عن سبب وفاته: "خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى الشَّامِ ... فِي عِيرٍ مِنْ عِيرَاتِ قريش؛ يحملونه تجارات، ففرغوا من تجاراتهم، ثم انصرفوا، فَمَرُّوا بالمدينة وعبد الله ابن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَوْمَئِذٍ مَرِيضٌ، فَقَالَ: أَتَخَلَّفُ عِنْدَ أَخْوَالِي بَنِي عَدِيّ بْنِ النَّجَّارِ. فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا شَهْرًا، وَمَضَى أَصْحَابُهُ فَقَدِمُوا مَكَّةَ، فَسَأَلَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَنِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالُوا: خَلَّفْنَاهُ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيّ بْنِ النَّجَّارِ؛ وَهُوَ مَرِيضٌ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَكْبَرَ وَلَدِهِ الْحَارِثَ، فَوَجَدَهُ قَدْ تُوُفِّيَ وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَإِخْوَتُهُ وَأَخَوَاتُهُ وَجْدًا شَدِيدًا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ حَمْلٌ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَوْمَ تُوُفِّيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ... هَذَا هُوَ أَثْبَتُ الْأَقَاوِيلِ فِي وَفَاةِ عَبْدِ اللَّهِ وَسِنِّهِ"(٢).

وهذه الصورة – رغم ضعف سندها ومتنها– إلا أن فيها شيئا أقرب إلى الواقع؛ وهو أن أهل الطفل الرضيع هم الذين يبحثون له عن مُرْضِعَة؛ كما ذكرته عند حديثي عن الرواية السابقة.

وهكذا يتضح أنَّ قِصَّةَ رَفْضِ المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ لوفاة أبيه، قصةٌ غَيْرُ صَحِيحَةٌ، ولم تحدث أبدا، وأن الرواية التي تضمنت ذلك رواية ضعيفةٌ سَنَداً ومَتْناً،

(١) البداية والنهاية، ج٢، ص٢٦٣.
(٢) نفسه.

ولا أساس لها من الصحة. ومع ذلك؛ فإن هذا لا ينفي أنَّ رَضَاعَهُ ﷺ في بني سعد من حليمة السعدية ثابت من طرق أخرى صحيحة.

ولذلك قال الأستاذ الدكتور/أكرم ضياء العمري: "إذا كان خبر حليمة الطويل المشتهر حول رضاعه، لم يَحْظَ بتصحيح المحدثين؛ لِعِلَلٍ إسنادية، فإن رضاعه ﷺ في بَنِي سعد مِنْ قِبَلِ حليمةَ السعديةِ ثابتٌ مِنْ طُرُقٍ أخرى"(١).

هذا وبالله التوفيق

وصَلِّ اللهُمَّ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

والحَمْدُ للهِ أولاً وآخِراً

(١) السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ، ج١، ص١٠٣. وقد ذكر بعض الكتب التي وردت فيها القصة من طرق أخري؛ فذكر منها: مسند أحمد ٤/ ١٨٤ – ١٨٥ من حديث عتبة بن عبد المسير، وسنن الدارمي ١/ ٨ – ٩. ومستدرك الحاكم ٢/ ٦١٦ – ٦١٧. وتاريخ دمشق لابن عساكر (السيرة ق١/ ٣٧٦ – ٣٧٧). وقد صححه الحاكم، وأقره الذهبي، كما صححه في تاريخ الإسلام (السيرة ١/ ٢١) وحسن الهيثمي إسناد أحمد (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٢) وحسن البوصيري سنده. وقال: "وبقية ثقة وإن كان مدلسًا فقد صرح بالتحديث في بعض طرقه. كما رواه الإمام أحمد، (إتحاف الخيرة ٤/ ٣٧٠ – ٣٧١) وقال الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣٧٣ مثل قول البوصيري وأضاف: وللحديث شواهد كثيرة (انظر السلسلة الصحيحة ٤/ ٥٩).

الخاتمة

وبعد

فهذا بحث عن " رَفْض المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ ". تلك القصة المشهورة في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكي السلام، والتي وَرَدَ ذِكْرُهَا في كثير من كتب السيرة والتاريخ والحديث، ولقد خَلُصْتُ فيه إلى أنها قصة باطلة ومنكرة، ولا أساس لها من الصحة؛ وذلك للأسباب التالية:

أولا – تعدّد الصور التي وردت بها قصة إرضاع حليمة للرسول ﷺ ، والاختلاف الكبير بين الروايات في تفاصيلها، يبطلها ويجعلها غير صحيحة؛ إذ لو كانت صحيحة لاتفق الرواة والمؤرخون على مضمونها، ولم يحدث بينهم اختلاف كبير.

ثانيا – الصورة الأولي للقصة، والتي مضمونها أَنَّ المُرْضِعَاتِ جِئْنَ إلى مَكَّةَ يَلْتَمِسْنَ الرُّضَعَاءَ، فكان مُحَمَّدٌ ﷺ من نصيبِ حليمةَ السعدية، وَرَدَتْ فيها روايتان، بينهما اختلاف كبير؛ إحداهما لابن إسحاق، وهي الروايةُ الأكثرُ شُهْرَةً وذِكْراً عند المؤرخين، والثانية للواقدي.

فأما رواية ابن إسحاق، فهي رواية ضعيفة سنداً ومتناً؛ فأما السند، فضعيف؛ لحال ابن إسحاق، ولجهالة حَالِ جَهْم بن أبي جَهْم، ولما في السند من شَكٍّ واضطرابٍ مِنْ جَهْم بن أبي جَهْم؛ الذي رَوَي هذه الرواية عن عبد الله بن جعفر، أو عمن حَدَّثَهُ عَنْهُ، ولِمَا في السَّنَدِ مِنَ انقطاعٍ بين ابن إسحاق وجَهْم، وبين جَهْم وعبد الله بن جعفر، وبين عبد الله بن جعفر وحليمة. وذلك على النحو الذي بينته بالتفصيل في ثنايا البحث.

وأما المتن، فضعيفٌ؛ لما تضمنه من أمور غريبة وغير مقبولة؛ مثل: قول حليمة: "فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ يَتِيمٌ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ! وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ! فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ". وقولها "فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ". وقول آمِنَةَ بنت وهب لحليمة: "ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فَوَ الله مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَيَّ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ، رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ". وقد بينت ذلك كُلَّهُ بالتفصيل في ثنايا البحث.

وأما رواية الواقدي، فهي رواية سَنَدُهَا ضعيفٌ جدا؛ لحال الواقدي، ولجهالة حَالِ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيُّ، وأَبيه، فَهُمَا غَيْرُ مَعْرُوفَيْن، ولأن السَّنَدَ بعدهما منقطعٌ، وموقوفٌ عَلَى يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيُّ.

ثالثا – الصورة الثانية للقصة، والتي مضمونها أَنَّ عبدَ المطلب بن هاشم –جَدّ الرسول ﷺ– هو الذي الْتَمَسَ لَهُ الرُّضَعَاءَ، وَرَدَتْ فيها روايتان أيضا؛ إحداهما لابن إسحاق، وقد رواها الطبري، والثانية للأموي، وقد رواها ابن كثير.

فأما رواية ابن إسحاق التي رواها الطبري، والتي مضمونها أَنَّ عبدَ المطلب بن هاشم، جَدّ الرسول ﷺ ، هو الذي الْتَمَسَ لَهُ الرُّضَعَاءَ، فهي رواية سَنَدُهَا ضعيفٌ جداً؛ لِحَالِ محمد بن حميد، وسلمة بن الفضل الرازي الأبرش، ولِحَالِ ابنِ إسحاق أيضا. أضف إلى ذلك أنَّ سَنَدَ هذه الرواية منقطعٌ بعد ابن إسحاق، وموقوف عليه؛ الأمر الذي يؤكد أن سَنَدَهَا ضعيفٌ للغاية. وفضلا عن ذلك؛ فقد بدأها ابنُ إسحاق بلفظ "يزعمون"، وهي صيغة تمريضية تدل على ضعف الرواية، والشَّكِّ في مضمونها.

ورغم ضعف سَنَدِ هذه الرواية؛ إلا أن متنها هو الأقرب للواقع؛ لأن أهل الطفل الرضيع –بحكم العادات والتقاليد–هم الذين يبحثون له عن مُرْضِعَة – يختارونها من بين عدد من المُرْضِعَاتِ– يكون لبنها غزيرا ودسما، ويتفقون معها على أجرتها مقابل إرضاع ابنهم، وليست المُرْضِعَة هي التي تختار الطفلَ الذي تُرْضِعُهُ.

وأما رواية الأُمَوِيّ التي ذكرها ابن كثير، والتي مضمونها أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَمَرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَهُ؛ فَيَطُوفَ به في أحياء العرب؛ ليتخذ لَهُ مُرْضِعَةً، فَطَافَ حَتَّى اسْتَأْجَرَ حَلِيمَةَ عَلَى رَضَاعِهِ، فهي رواية ضعيفةٌ سَنَداً ومتناً؛ فأما السَّنَدُ، فضعيفٌ؛ لِحَالِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَقَّاصِيّ. أضف إلى ذلك أن السَّنَدَ موقوفٌ عَلَى سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ومنقطعٌ بعده.

وأما المتن، فضعيفٌ؛ لما تضمنه مِنْ ذِكْرِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ؛ الذي لم يكن موجودا في ذلك الوقت؛ فقد مات قبل مولد الرسول ﷺ بفترة. وقد بينت ذلك كله بالتفصيل في ثنايا البحث.

وهكذا يتضح أن قصة رَفْض المُرْضِعَاتِ إِرْضَاعَ الرَّسُولِ ﷺ بسبب وفاة أبيه، قصةٌ غيرُ صحيحة، ولم تحدث أبدا، وأن الرواية التي تضمنت ذلك روايةٌ ضعيفةٌ سَنَداً ومَتْناً، ولا أساس لها من الصحة.

هذا وبالله التوفيق

وصلِّ اللهُمَّ وبارِكْ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَي آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ

المصادر والمراجع[1]

أولا ـ المصادر:

ابن الأثير: على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزرى (ت ٦٣٠ هـ)
١- "الكامل في التاريخ". الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ج١.

بَحْرَق: محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي (ت ٩٣٠هـ)
٢- "حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار". الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. الناشر: دار المنهاج، جدة. تحقيق: محمد غسان عزقول. ج١.

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)
٣- "التاريخ الكبير". طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن. طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان. ج٦.

البوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم (ت ٨٤٠هـ)
٤- "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة". الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض. المحقق: دار المشكاة للبحث العلمي. ج٧.

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: (ت ٤٥٨هـ)
٥- "دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة". الطبعة الأولى١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج١.

(١) رتبت المصادر أبجديا حسب الاسم المشهور للمؤلف، وبدون اعتبارٍ للملحقات (أبو، وابن، وأم)، ورتبت المراجع أبجديا حسب الاسم الحقيقي للمؤلف.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)
٦- "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم". الطبعة الأولي ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفي عبد القادر عطا. ج٣.

ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ)
٧- "الجرح والتعديل". الطبعة الأولى١٢٧١هـ/١٩٥٢م. طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج٦.

ابن حبان البستي: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التيمي (ت ٣٥٤هـ)
٨- "السيرة النبوية وأخبار الخلفاء". الطبعة الثالثة١٤١٧ هـ. الناشر: الكتب الثقافية، بيروت. صحّحه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء. ج١.
٩- "المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين". الطبعة الأولى١٣٩٦هـ. الناشر: دار الوعي، حلب. المحقق: محمود إبراهيم زايد. ج٢.
١٠- "صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان". الطبعة الثانية١٤١٤هـ/١٩٩٣م. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. المحقق: شعيب الأرنؤوط. ج١٤.

ابن حجر: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)
١١- "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية". الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ودار الغيث للنشر والتوزيع. تنسيق: د/سعد ابن ناصر الشَّثري. المحقق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية. ج١٧.
١٢- "تقريب التهذيب". الطبعة الأولي١٤١٦هـ/١٩٩٦م. مؤسسة الرسالة، بيروت. بعناية عادل مرشد.

١٣- "تهذيب التهذيب". الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ. الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

الحلبي: بدر الدين الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (ت ٧٧٩هـ)

١٤- "المقتفى من سيرة المصطفى ﷺ". الطبعةالأولى١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. الناشر: دار الحديث، القاهرة. المحقق: د مصطفى محمد حسين الذهبي. ج١.

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت٤٦٣هـ)

١٥- "تاريخ بغداد". الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت. المحقق: الدكتور بشار عواد معروف. ج٢.

١٦- "موضح أوهام الجمع والتفريق". الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ. الناشر: دار المعرفة، بيروت. المحقق: د. عبد المعطي أمين قلعجي. ج١.

الدِّيار بَكْري: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت٩٦٦هـ)

١٧- "تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس". دار صادر، بيروت. ج١.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ)

١٨- "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام". الطبعة الأولى ٢٠٠٣م. الناشر: دار الغرب الإسلامي. المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف.

١٩- "سير أعلام النبلاء". طبعة١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. نشر دار الحديث بالقاهرة.

٢٠- "ميزان الاعتدال في نقد الرجال". الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. تحقيق: علي محمد البجاوي. ج٢.

الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد المالكي (ت١١٢٢هـ)

٢١- "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية". الطبعة الأولى ١٤١٧هـ /١٩٩٦م. الناشر: دار الكتب العلمية. ج١.

ابن زريق: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٨٠٣هـ)

٢٢- "مَنْ تَكلَّم فيه الدَّارقطني في كتاب السنن من الضعفاء والمتروكين والمجهولين". الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر. المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة. ج٣.

سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (ت٦٥٤ هـ)

٢٣- "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان". الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا. تحقيق وتعليق: محمد بركات وآخرين. ج٣.

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت٢٣٠هـ)

٢٤- "الطبقات الكبري". الطبعة الأولى١٤١٠هـ/١٩٩٠م. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ج١.

السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)

٢٥- "الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام". الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. المجلد السادس. المحقق: عمر عبد السلام السلامي. ج٢.

ابن سيد الناس: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري (ت ٧٣٤هـ)

٢٦- "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير". الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. الناشر: دار القلم، بيروت. تعليق: إبراهيم محمد رمضان. ج١.

السيوطى: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ)

٢٧- "الخصائص الكبرى". الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. ج١.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت ٣٦٠هـ)

٢٨- "المعجم الكبير". الطبعة الثانية. دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة. المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ج٢٤.

الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت ٣١٠ هـ)

٢٩- "تاريخ الرسل والملوك". الطبعة الثانية١٣٨٧هـ، الناشر:دار التراث، بيروت. ج٢.

ابن عَدِيّ: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)

٣٠- "الكامل في ضعفاء الرجال". الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. الناشر: الكتب العلمية، بيروت، لبنان. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة. ج٦.

ابن عَساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ)

٣١- "تاريخ دمشق". الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. المحقق: عمرو بن غرامة العمروي. ج٣.

العُقَيْلِيّ: محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العُقَيْلِيّ المَكِّيّ (ت ٣٢٢هـ)

٣٢- "الضعفاء". الطبعة الثانية ٢٠٠٨م. الناشر: دار ابن عباس مصر. المحقق: الدكتور مازن السرساوي. ج٤.

العصامي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي (ت ١١١١هـ)

٣٣- "سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي". الطبعة الأولى١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. ج١.

القسطلاني: أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني المصري (ت ٩٢٣هـ)

٣٤- "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية". الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة. ج١.

ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

٣٥- "البداية والنهاية". طبعة دار الفكر١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. ج٢.

الكَلَاعِي: سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي (ت ٦٣٤هـ)

٣٦- "الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء". الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. ج١.

المِزِّي: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، المزي (ت٧٤٢هـ)

٣٧- "تهذيب الكمال في أسماء الرجال". الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. المحقق: د/ بشار عواد معروف.

مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)

٣٨- "الكُنَى والأسماء". الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. المحقق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري. ج١.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن على المقريزي (ت ٨٤٥هـ)

٣٩- "إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع". الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي. ج٤.

ابن منده الأصبهاني: عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق (ت ٤٧٠هـ)

٤٠- "المستَخرجُ من كُتب النَّاس للتَّذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة". الناشر: وزارة العدل والشئون الإسلامية البحرين، إدارة الشئون الدينية. المحقق: أ.د/ عامر حسن صبري التَّميميُّ. ج٢.

ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)

٤١- "لسان العرب". الطبعة الثالثة١٤١٤هـ/١٩٩٤م، دار صادر، بيروت، لبنان. ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن ناصر الدين الدمشقي: محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٨٤٢هـ)

٤٢- "جامع الآثار في السير ومولد المختار". الطبعة الأولى١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. الناشر: دار الفلاح. المحقق: أبو يعقوب نشأت كمال. ج٣.

النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت٣٠٣هـ)

٤٣- "الضعفاء والمتروكون". الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ. الناشر: دار الوعي، حلب. المحقق: محمود إبراهيم زايد. ج١.

أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠ هـ)

٤٤- "دلائل النبوة". الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. الناشر: دار النفائس، بيروت. حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس. ج١.

ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميرى (ت ٢١٨ هـ)

٤٥- "السيرة النبوية". الطبعة الثانية١٣٧٥هـ/١٩٥٥م. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي. ج١.

الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)

٤٦- "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد". الناشر: دار الفكر، بيروت١٤١٢هـ. ج٨.

٤٧- "المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي". الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. تحقيق: سيد كسروي حسن. ج٣.

٤٨- "موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان". الطبعة الأولى ١٤١١-١٤١٢هـ/ ١٩٩٠-١٩٩٢ م. الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق. المحقق: حسين سليم أسد الدّاراني، وعبده علي الكوشك. ج٦.

أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى التميمي، (ت٣٠٧هـ)

٤٩- "مسند أبي يعلى". الطبعة الأولى١٤٠٤هـ/م.١٩٨٤الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق. المحقق: حسين سليم أسد.ج١٣.

ثانيا ـ المراجع:

أحمد محمد شاكر (الشيخ)

٥٠- "الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير". الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، مكتبة دار التراث.

أكرم ضياء العمري (د)

٥١- "السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ". الطبعة السادسة١٤١٥هـ/١٩٩٤م. الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (د) (ت ١٤٠٣هـ)

٥٢- "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة". الطبعة الثامنة١٤٢٧هـ. الناشر: دار القلم، دمشق. ج١.

محمد بن ناصر الدين بن نوح بن نجاتي بن آدم الألباني (ت ١٤٢٠هـ)

٥٣- "دفاع عن الحديث النبوي والسيرة". بدون بيانات الطبع. ج١.

٥٤- "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة". الطبعة الأولى١٤١٢هـ/١٩٩٢م. دار النشر: دار المعارف، الرياض، السعودية. ج٤.

٥٥- "ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان". الطبعة: الأولى١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. ج١.